

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الانسانية و العلوم الإسلامية والحضارة
قسم التاريخ



عنوان :

دور الطرق الصوفية في نشر الاسلام بين المغول
ما بين القرنين : 7هـ، 9هـ / 13م، 15م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تاريخ
تخصص : تاريخ المشرق الاسلامي

اشراف الأستاذ :

د/ جعيران معمر

إعداد الطلبة :

-ساسي سعدية .

الموسم الجامعي : 2021-2022

إهداء

الحمد لله والشكر لله أولا الذي شرح لي صدي ويسر لي أمري ووفقني في إتمام هذا
العمل المتواضع ملك الملوك به استعنت وعليه توكلت فهو خير معين
إلى التي لم أجد كلمة توفي حقها وكل ما جارت على الأيام بكيت في حضنها. إلى منبع
المواصلة وتحدي الصعاب ومن وقفت إلى جانبي في السراء والضراء إلى أحلى وأغلى أم
في الكون امي الغالية .
إلى من سهر الليالي ورباني على الفضيلة وكان لي درع الأمان إلى الذي كان سببا في
حياتي وفيما وصلت إليه أبي الغالي .
إلى من ترعرعت معهم وتمى غصني بينهم أخي وأخواتي، زينب ،، فضيلة ، سارة ،
حفظهم الله. إلى سندي في الحياة الذي شاركني التعب، والأفراح والأحزان زوجي
الغالي . إلى من ستكون امي ثانية ام زوجي طيبة الي رفيقتي وصديقة انفال اخت زوجي
الى ابن اختي واولاد اخي وإلى كل الأهل والأقارب كبيرا وصغيرا ...
وإلى كل أصدقاء الدراسة جميعا

شكر وتقدير

لحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة، وأعانني على أداء هذا الواجب، ووفقني إلى إنجاز هذا العمل والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور المشرف المحترم: د جعيران معمر الذي لم ييخل علي بتوجيهاته وإرشاداته وصبره الجميل طيلة إعدادي لهذه المذكرة

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل اساتذتي الذين رافقوني طيلة مساري الدراسي، والذين لم ييخلوا علي بتوجيهاتهم القيمة فجزاهم الله عني خير الجزاء.

أرجو من الله العلي القدير أن يوفقني لأكون خير خلف لخير سلف .



قائمة المختصرات

تر	ترجمة
تح	تحقيق
ج	جزء
ط	طبعة
هـ	هجري
م	ميلادي
ت	توفي

مقدمة



تنوعت الدراسات التاريخية التي اختصت بدراسة المشرق الاسلامي بشكل عام والتاريخ المغولي بشكل خاص، ولاسيما في الآونة الاخيرة، وهذا بالتأكيد نابع من اهتمام واضح من قبل الباحثين بدراسة حقبة تاريخية مهمة لم تسلط عليها الاضواء خلال السنوات الماضية، ويرجع السبب في ذلك الى ما يمتلكه عدد من الباحثين من قراءة علمية، وتاريخية، وبحثة للبحث عن كل جديد للاطلاع على مكنوناته، والغوص في اعماقه لاكتشاف الجديد وابرار الحقيقة التي كانت غامضة لسنوات طوال و يتضح من هذا البحث ان التيار الصوفي نال مكانة عليا، ورعاية متميزة في المجتمع المغول تلك المكانة يعكسها نفوذه الواسع على جميع جوانب الحياة سواء اكانت السياسية ام الاجتماعية ام الفكرية، اما الرعاية المتميزة فتعكسها الخدمات المادية والمعنوية التي كانت تقدمها كل من المؤسسة السياسية والعامة للتيار الصوفي رجالا ومؤسسات. المكانة التي كان يحظى بها التيار الصوفي لم تكن من صناعة المؤسسة السياسية وانما ترجع في أصولها الى الإمكانيات الذاتية التي يتمتع بها التيار الصوفي سواء أكان على المستوى العام بما يملكه من فكر حاز على المقبولية من القوى الدينية الإسلامية وغير الإسلامية ويرجع ذلك الامر الى ما يقوم عليه الفكر الصوفي من أسس توصي بالانفتاح على جميع الأديان والمذاهب، كما يرجع الى ما يؤمن به الفكر الصوفي من مبادئ ترفض الجدل الديني العقيم الذي كثيرا ما يؤدي الى الفتن المذهبية التي كان يذهب بسببها كثير من الضحايا، إضافة الى ما يخلفه ذلك الجدل من احقاد لم تخفت نيرانها مهما مر عليها الزمن، زد على ذلك ان الفكر الصوفي يحث على التواضع والزهد في الحياة الدنيا، وهي أمور يرغبها الغالبية العظمى من المجتمع. اما على مستوى رجالات التصوف فانهم يملكون من السلطان الروحي ما لا يملكه غيرهم من شيوخ القوى الدينية الأخرى وقتذاك، وان سلطاتهم الروحي كان يقف دونه العامة والخاصة معا، وان ذلك السلطان كان يتميز بقوة كبيرة جعلت شيوخ التصوف يحتفظون به تجاه العامة والخاصة في حياتهم وحتى بعد مماتهم. من خلال الجوانب المطروحة سالفًا يمكن طرح الاشكال التالي :

ما هو الدور الذي لعبته الطرق الصوفية في نشر الاسلامي في بلاد المغول ؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي تعمل على المساعدة لحل الموضوع وهي:

- ما مفهوم التصوف والصوفية ؟
 - ماهي الطرق الصوفية ودورها في نشر الاسلام بين المغول ؟
 - دور الطرق الصوفية في ترسيخ الثقافة الاسلامية داخل المجتمع المغولي ؟
- وتكمن اهمية الموضوع دور الطرق الصوفية في نشر الاسلام بين المغول في كونه يتطرق الى وظائف وادوار التي لعبتها الطرق الصوفية والعوامل التي سعدت على نشر الاسلام عند المغول سواء من الناحية الثقافية او الاجتماعية او الدينية كما تسمح لنا هذه الدراسة بالتعرف على أبرز الطرق والمكانة التي نلتها .

الذاتية :

- رغبتني في البحث في الموضوع التصوف وخاصة في عصر المغولي
- ميلي الي تاريخ المغول وحياتهم الدينية والثقافية لهم .
- رغبتني في ابراز دور الذي لعبته الطرق الصوفية لنشر الاسلام في بلاد المغول .

الموضوعية :

- توفر الموضوع على جوانب بحثية جديدة غير مدروسة فأردت ان اوضح بعض منها وخاصة ابرز الطرق الصوفية التي لعبت دورا مهما في بلاد المغول
- وأما الفترة الزمنية التي شملت درستنا تمتد من 5، 7هـ / 11، 13م هي الفترة التي ظهر فيها التصوف وانتشر بقوة في بلاد ما وراء النهر وتعد مرحلة غنية بطرق الصوفية .

لإنجاز هذه الدراسة اعتمدت على:

- المنهج التاريخي السردى : لتتبع الفترة الزمنية ولتقصي الأحداث في تتبع سيرة دولة المغول وكذا تأثير الصوفية على المجتمع المغولي.
- والمنهج التاريخي التحليلي : كان الصفة الغالبة في هذه الدراسة أثناء عرضنا لمختلف الأفكار.
- و خطة البحث مكونة من:
- مقدمة ثم واربع فصول وخاتمة، اوردها كتابي :

- مقدمة ذكرت فيها أهم العناصر من تمهيد للموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وأهميته وأهداف البحث، وإشكاله ثم الخطة، والمنهج المستعمل وأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها، وبعض الصعوبات التي واجهتنا.

- الفصل الاول : الفصل الاول : خصصت المبحث الأول: لذكر جملة من المفاهيم حول بلاد ما وراء النهر مثل الموقع الجغرافي واصل السكان وأهم الأقاليم الموجودة في تلك المنطقة ثم دخول الإسلام والتصوف لبلاد ما وراء النهر، أما المبحث الثاني خصصته: للعقائد الدينية القديمة للمغول قبل دخولهم الإسلام والاقبال الكبير لدخول عالم الاسلامي في علام التصوف بسبب ظروف السيئة التي مروا بها .المبحث الثالث :وخصصته الصوفية وكيف انشأت في بلاد المغول واثرها الكبير على المجتمع المغولي .

- الفصل الثاني : تضمن ثلاث مباحث ، الاول تعرضت فيه لذكر التعاريف اللغوية والاصطلاحية للتصوف ثم النشأة والتطور التاريخي للمصادر الإسلامية للتصوف، أما مبحث الثاني تطرقت فيه إلى ذكر مدينة مرغة باب الاول لرجال التصوف والمبحث الثالث تناول العناية الخاصة لسلطين والامراء المغول وخواتيمهم للتيار الصوفي .

- الفصل الثالث : تطرقت فيه إلى ثلاثة مباحث جاء في المبحث الأول: النظرة القدسية لشيوخ التصوف عند المغول. أما الثاني: فتناول العلاقة بين الطرق الصوفية وانتشار الاسلام بين المغول. وثالث: تناول ممارسة بعض سلطين المغول وامرائهم جوانب من الحياة الصوفية.

- الفصل الرابع : خصصته لأهم الطرق الصوفية في بلاد المغول تناولت فيه أربع مباحث: الاول : الطريقة الكبروية ، الثاني: الطريقة النقشبندية ، الثالث: الطريقة القادرية ، الرابع: الطريقة اليسوية .

اعتمدت في بحثي على مجموعة من المصادر والمراجع الأساسية نذكر منها:

المصادر:

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار للرحالة ابن بطوطة والمعروف بـ: رحلة ابن بطوطة. وتكمن أهمية هذا المصدر في أن هذا الرحالة كانت له زيارة ورؤية عن كثر في بلاد القبيلة الذهبية في عهد السلطان محمد أوزبك، فقد لاحظ بأمر عينه وروى لنا ما شاهده هناك من عادات وتقاليده، فهو بحق أساسي لنا

- أصبح الأعشى في صناعة الإنشا: لأبي العباس أحمد القلقشندي الذي تولى مهمة الكتابة في دولة المماليك. مما مكّنه الاطلاع على العديد من الوثائق و المراسلات بين الدولتين المغولية والمملوكية، خاصة بين بيبرس وبركة، فقد فصل في كتابه عن مملكة مغول من حيث الأقاليم والمدن وملوك هذه المملكة.
- اما المرجع:
- الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها واثرها : عبد الله ابن دجين السهيلي .
- الدعوة إلى الإسلام: لأرنولد .
- تاريخ الترك في آسيا الوسطى لبارتولد الذي اهتم بالتاريخ التركي والشعوب التركية.
- انتشار الإسلام بين المغول: لعبد الحليم رجب .
- الدراسات السابقة :
- أ ، بن سعيد جمال ، العصر الذهبي لمغول القبيلة الذهبية مغول القفجاق 654 ، 772هـ/ 1256 ، 1341م .، 1433/ 2012.
- وفي طور انجاز هذه الدراسة واجهتني بعض الصعوبات المتمثلة في :
- اتّساع الموضوع وتشعبه وارتباطه بالعديد من المجالات .
- اتّساع مجال التّصوّف، حيث لم يكن التّصوّف حكرا على المسلمين، بل لديه امتدادات قديمة واسعة هذا ما جعل من الإحاطة بالتّصوّف وحصر نطاقه أمر صعب .
- اختلاف افكار واءاء الباحثين حول مفهوم التصوف وخصوصا في تاريخ المغول
- قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن تاريخ التصوف في بلاد المغول.



المبحث الاول: بدايات الفتح الإسلامي للمنطقة والعوامل التي ساعدت
في نشر الإسلام بها
المبحث الثاني : العقائد الدينية القديمة للمغول قبل دخولهم الإسلام.
المبحث الثالث: الصوفية وانتشارها في العالم الإسلامي.

أولاً: بدايات الفتح الإسلامي للمنطقة والعوامل التي ساعدت في نشر الإسلام بها

أطلق المسلمون اسم بلاد ما وراء النهر على البلاد التي يفصلها نهر جيحون عن خراسان وهي التي تقع وراءه من جهة الشرق والشمال. وتعرف الآن باسم آسيا الوسطى الإسلامية، وتضم خمس جمهوريات إسلامية كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي، ثم من الله عليهم فاستقلوا بعد انهياره. وهذا الجمهوريات هي الآن أوزبكستان وطاجيكستان وقازاخستان وتركمانستان وقرغيزيا.

1. جغرافيا بلاد ما وراء النهر:

وتقع بلاد ما وراء النهر بين نهر جيحون "أموداريا" جنوباً، ونهر "سيحون" "سرداريا" -يقع الآن في كازاخستان" شمالاً. ويطلق عليها -أحياناً- بلاد الهياطلة وكان أهلها وثنيين من أصول تركية، حلوا بها منذ القرن السادس الميلادي⁽¹⁾

وتتميز بوفرة المياه، لوجود نهر جيحون وسيحون وروافدهما الكثيرة، مما ساعد على خصوبة المنطقة وكثرة الزراعة والعمارة فيها، واجتذاب السكان إليها.

2. أقسام بلاد ما وراء النهر:

ويمكن تقسيم بلاد ما وراء النهر -عند الفتح الإسلامي- إلى عدة أقاليم أو ممالك مستقلة، هي⁽²⁾

1- إقليم "طخارستان"، ويقع على ضفتي نهر "جيحون". وعاصمته: "بلخ".

2- إقليم "الصغد"، ومن أشهر مدنه: "بخارى" و"سمرقند".

3- إقليم "خوارزم". ويشمل على دلتا نهر "جيحون". وعاصمته: مدينة "الرجانية".

4- إقليم "الختل"، في أعالي نهر "جيحون". وعاصمته مدينة "هلبك". ومن مدنه: "أشجرد" و"الصغانيان". وكانت هذه الممالك الأربعة تسمى بالممالك "الجيحونية".

5- إقليم "فرغانة"، على نهر "سيحون". وتعرف اليوم باسم "خوقند".

6- إقليم "الشاش"، على نهر سيحون أيضاً، وتعرف اليوم باسم "طشقند" عاصمة كازاخستان الآن، ومن مدة هذين الإقليمين الأخيرين: "خجندة" و"إيلاق" و"إسبيجاب".

¹ -ياقوت الحموي، معجم البلدان" م 1 دار الصادر، بيروت، 1397-1977م ص 530

² - محمد الفارسي لاصطخري، مسالك الممالك، ط 1، دار صادر، بيروت، 1937ص 295

3. قبائل الترك في بلاد ما وراء النهر:

ومن الجدير بالذكر أن الترك الذين واجههم المسلمون في هذه البلاد -بلاد ما وراء النهر الواقعة بين بلاد إيران وبلاد المغول- كانوا أجناسا، وكان أول جنس قابلوه هو جنس "الهياطلة" "Heptalirtes"، وكانوا قسمين كبيرين:

1- قبائل الشمال، وهي التي تسمى في الغالب باسم "الهياطلة"، ويلقب ملكهم بـ "الزونييل"، وهذا اللقب يقرأ أحيانا "الرتبيل" خطأ.

2- قبائل الجنوب، وهي التي تسمى بالزابليين، وقد استقروا في إقليم، "زابلستان"، وأعطوه اسمهم. ولم يكن "الهياطلة" هم الجنس التركي الوحيد الذي دخل المسلمون في صراع معه في هذه المرحلة من مراحل بنائهم للدولة الإسلامية، بل كان هناك الترك "البختيون"، ويسمون في غير العربية باسم "البكترين" نسبة إلى إقليم "باكتريا" الذي سكنوه. وعندما دخل المسلمون في صراع مع الترك قاتلوا "البختيين" في نفس الوقت الذي قاتلوا فيه الهياطلة، وكلا الفريقين ينتمي إلى الأتراك "الغزية" (1).

4. الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر:

وقد طرق المسلمون هذه البلاد عدة مرات منذ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه "23-35هـ"، وغزاها -في خلافة بني أمية- عدد من القادة المسلمين إلى سنة "86هـ" منهم: عبيد الله بن زياد، وسعيد بن عثمان بن عفان، والمهلب بن أبي صفرة، وولديه: يزيد والمفضل، ولم تسفر حملات هؤلاء القادة عن فتح وقد انعكست الخلافات والانقسامات التي أعقبت موت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من "60هـ" إلى سنة "72هـ" على الفتوح في هذه المنطقة، وأصبح المسلمون في موقف دفاعي، حيث اغتنم الترك انشغال المسلمين بهذا الخلاف، فكانوا يغيرون على ديار الإسلام، ويحرضون أهل الصلح من البلاد على الثورة، وبلغوا في بعض هجومهم إلى قرب "نيسابور" في خراسان، وفقد المسلمون كثيرا من المناطق التي كانوا يسيطرون عليها (2).

¹ -حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ط1، زهراء للاعلام العربي، القاهرة، 2006، ص "130-131".

² -بن خياط، تاريخ خليفة، ط1، مطبعة الادب، النجف، 1967، ص "222، 224".

فما أن تمكن عبد الملك بن مروان "65-86هـ" من القضاء على مناوئيه حتى بدأ يولي الفتح الاهتمام الواجب، وكان ولادته على إقليم العراق هم مفتاح النجاح على الجبهة الشرقية، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ولي على العراق والمشرق "سنة 75هـ" ذا فضل كبير بسبب شدته وصرامته في تحقيق قدر كبير من الاستقرار في العراق -ولو ظاهرياً- مكن من خروج الحملات العسكرية نحو الأقاليم الشرقية" (1).

وقد اضطلع بعبء هذه الفتوح ثلاثة من قادة الحجاج المشهورين، وهم: المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وقتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم الثقفي.

المهلب بن أبي صفرة

أما المهلب بن أبي صفرة فقد ولاه الحجاج على خراسان سنة "78هـ"، وقام بفتوح واسعة فيما وراء النهر، وغزى مغازي كثيرة، ففتح مدينة "كش" في مملكة "الصغد"، ووجه منها حملة بقيادة ابنه "يزيد" إلى ملك "الختل" واضطره إلى دفع الجزية. كما فتح يزيد قلعة "نيزك" بإقليم "بادغيس" بين "مرو" و"هرات"، وغزا "خوارزم"، واستطاع المهلب وأبناؤه في مدة عامين تقريباً - أن يعيد هبة المسلمين في المنطقة، وإن كان لم يوفق في إقامة قواعد ثابتة هناك (2).

فتوحات قتيبة بن مسلم

أما المرحلة الحاسمة في الفتح والاستقرار فقد بدأت مع تسلم "قتيبة بن مسلم الباهلي" قيادة جيوش الفتح وولاية إقليم خراسان وبلاد الشرق "سنة 85هـ" وظل والياً عليها إلى سنة "99هـ".

وقد كانت الظروف مواتية لقتيبة بن مسلم تماماً، فالدولة الأموية كانت عندئذ في أحسن حالاتها استقراراً وهدوءاً وثراء عريضاً، فاجتمع لقتيبة مهارة القائد وعزم الوالي "الحجاج بن يوسف الثقفي" وتشجيعه، وقوة الدولة وهيبتها، فكانت فتوحاته العظيمة في بلاد "ما وراء النهر".

ولم يكن قتيبة بن مسلم رحمه الله قائداً عسكرياً فحسب، بل كان إلى جانب ذلك رجل دولة، وصانع سياسة، وواضع نظم وإدارة، فعمل بعد تسلمه أمور الولاية على القضاء على الخلافات

1 - نادية محمود مصطفى ، الدولة الأموية دولة الفتوحات، ج8، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، القاهرة ، 1996، ص48.

2 - بن خياط ، مرجع نفسه "ص279".

العصية التي كانت تعصف بالقبائل العربية في "خراسان"، من جراء التنافس على الولايات، وجمع زعماءهم على كلمة واحدة تحت الجهاد، كما أنه عمل على كسب ثقة أهل "خراسان" الأصليين، فأحسن إليهم، وقربهم، وعهد إليهم بالوظائف، فاطمأن الجميع إليه، ووثقوا به وبقيادته⁽¹⁾. سار قتيبة بن مسلم على نفس الخطة التي سار عليها آل المهلب، وهي خطة الضربات السريعة المتلاحقة على الأعداء، فلا يترك لهم وقت للتجميع، غير أنه امتاز على المهالبة بأنه كان يضع لكل حملة خطة ثابتة، ويحدد لها وجهة معينة، ويجتهد في الوصول إلى ما يقصده، غير عابئ بالمصاعب، معتمدا على الله عز وجل، ثم على بسالته النادرة، وروح القيادة التي امتاز بها، وإيمانه العميق بالإسلام.

5. مراحل فتوحات قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر:

ولقد مرت خطوات قتيبة بن مسلم في فتح بلاد ما وراء النهر -على مدى عشر سنوات "86-96هـ"- عبر مراحل أربع، حقق في كل منها فتح ناحية واسعة فتحا نهائيا، وثبت أقدام المسلمين والإسلام فيها⁽²⁾.

وهذه المراحل هي :

- المرحلة الأولى "86-87هـ":

وفيها أخضع "قتيبة بن مسلم" إقليم "طخارستان" الواقع على ضفتي نهر "جيحون". ويبدو أن أوضاعه لم تكن قد استقرت للمسلمين تماما منذ أن فتحه الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان. وكانت تلك بداية ناجحة من قتيبة؛ فبدون توكيد أقدامه في "طخارستان" لم يكن ممكنا أن يمضي لفتح "ما وراء النهر". وقد أصبح يتمتع بهيبة كبيرة في تلك البلاد، فما إن يسمع الملوك بمسيره إليهم حتى يسرعوا إلى لقائه وطلب الصلح.

- المرحلة الثانية "87-90هـ"

وفيها فتح "قتيبة" إقليم "بخارى" كله بعد حروب طاحنة وانتظام حملاته عليها.

- المرحلة الثالثة "91-93هـ"

¹ - عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العصر الأموي 41هـ/132هـ ، من موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي - القاهرة ، ص30-31.

² - حسين مؤنس ، مرجع سابق "ص131".

وفيها أكمل فتح حوض جيحون" كله وأتم فتح "سجستان" "92هـ"، وإقليم "خوارزم" "93هـ". وتوج عمله بالاستيلاء على "سمرقند" أعظم مدن ما وراء النهر كلها.

ومن جميل ما يروى في فتح سمرقند أن المسلمين حينما دخلوها أخرجوا ما فيها من الأصنام وأحرقوها، وكان أهل سمرقند يعتقدون أن من استخف بها هلك، فلما أحرقها المسلمون ولم يصابوا بأذى أسلم من أهلها خلق كثير.

- المرحلة الرابعة "94-96هـ"

وفيها عبر قتيبة "نهر سيحون"، وفتح الممالك السيوينية الثلاث: "الشاش" و"أشروسنة" و"فرغانة" ثم دخل أرض الصين، وأوغل في مقاطعة "سنكيانج"، ووصل إلى إقليم "كاشغر" وجعلها قاعدة إسلامية، وتهيأ لفتح الصين لولا أن وفاة "الحجاج بن يوسف الثقفي" "95هـ"، والخليفة "الوليد بن عبد الملك" "96هـ" جعلته يتوقف عند هذا الحد، لكنه أجبر ملك الصين على دفع الجزية⁽¹⁾

6. وقفات حول فتوحات قتيبة بن مسلم:

ونذكر هنا ثلاث ملاحظات جديرة بالتسجيل، وهي:

1- لقد كان أهل هذه البلاد جاهلين بحقيقة الإسلام، وتصوروا أن المسلمين إنما جاءوا للاستيلاء على خيرات بلادهم، الأمر الذي جعلهم يقاومون بشراسة، لكنهم لما عرفوا أن المسلمين ليسوا غزاة، وإنما هداة يحملون إليهم الإسلام أقبلوا على اعتناقه والإيمان بمبادئه.

يقول المستشرق المجري "أرمينوس فامبري": "إن بخارى التي قاموت العرب في البداية مقاومة عنيفة قد فتحت لهم أبوابا لمستقبلهم ومعهم تعاليم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، تلك التعاليم التي قوبلت أول الأمر بمعارضة شديدة، ثم أقبل القوم عليها بعد ذلك في غيرة شديدة حتى لنرى الإسلام -الذي أخذ شأنه يضعف اليوم في جهات آسيا الأخرى- وقد غدا في بخارى اليوم "1873م" على الصورة التي كان عليها أيام الخلفاء الراشدين"⁽²⁾.

2- كان السكان في هذه المناطق يرضون بالصلح أو يعتنقون الإسلام ظاهريا في بداية الأمر كما أسلفنا، وما إن ينصرف الجند المسلمون حتى ينقضوا العهد أو يرتدوا عن الإسلام. وهذا يظهر

¹ - تاريخ الطبري ، تاريخ الرسول والمولك ، ج6، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط4 ، دار المعارف ، 2019 ، ص 425،504 .

² - محمد عبد اللطيف: مرجع سابق ، -ص31.

بوضوح مدى منطقية مفهوم عقبة بن نافع -فاتح إفريقية ومؤسس مدينة القيروان فيها -بضرورة أن يكون الفتح معنويان، وليس عسكريا، فالفتح المعنوي يحتاج إلى وجود مسلمين مقيمين في المنطقة بعد فتحها يفتحون القلوب بالإيمان والعلم.

أما الفتح العسكري فيتم بواسطة الجند الذين يرتحلون بعد نجاح المهمة العسكرية فلا يحققون شيئا في الواقع إلا فتح الأرض التي تنقض عليهم فور انسحابهم⁽¹⁾.

3- لا شك أن قيادة "قتيبة بن مسلم" الفذة وخططه العسكرية المحكمة، ودعم القيادة العليا له - ممثلة بالحجاج في العراق، والخليفة عبد الملك، ثم ابنه الوليد في الشام- إضافة إلى ما كان من طاقات إيمانية عند الجند: جعل النصر حليف المسلمين في هذا الميدان، وقد ساعد ذلك -مع المعاملة الطيبة لأهل البلاد- على تحويل المنطقة إلى دار إسلام⁽²⁾.

بلاد ما وراء النهر بعد وفاة قتيبة بن مسلم:

وبوفاة "قتيبة بن مسلم" توقفت فتوحات المسلمين على هذه الجبهة عند الحد الذي تركها هو عليه، ذلك أنه لما تولى "يزيد بن المهلب بن أبي صفرة" على خراسان -ولاه عليها الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة "97هـ"- وجه همه إلى فتح "جرجان" و"طبرستان"، ولم يكن المسلمون قد وطأوا أيهما من قبل، وذلك حتى يحقق فتحا يغبط سليمان كما كانت نجاحات "قتيبة" تغبط الوليد. ولقد استطاع "يزيد" أن يفتح "جرجان" بالفعل صلحا، ثم توجه إلى "طبرستان"، ولكنه هناك، فنقض أهل "جرجان" عهدهم، فعاد وحاربهم وفتحها هذه المرة عنوة⁽³⁾.

ولقد ظل الجهاد والاستعداد للغزو قائما في هذا الجانب من العالم إلى نهاية حكم بني أمية، ومما يلاحظ في هذا الميدان أن الترك الذين ظلوا يتزلون خارج دائرة سلطان المسلمين من بلاد ما وراء النهر كانوا -بعد فتوحات قتيبة بن مسلم- لا ينفكون يهجمون على المناطق التي دخلت في سلطان المسلمين، ويحرضون أهلها على الثورة والعصيان، فكان المسلمون يقومون بإخضاعهم وإعادة البلاد إلى الطاعة⁽⁴⁾.

1 - نادية محمود مصطفى: مرجع سابق ، ص "50".

2 -محمد ضيف الله بطاينة: دراسات في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط1 ، دار الفرقان ،عمان، 1999 ص "227".

3 -تاريخ الطبري ،مصدر السابق،ص 541-544 .

4 - تاريخ الطبري ، مصدر السابق ،ص ص 71-192

ولا شك أن هذا الميدان كان من أشد الميادين قتالا، ولم يكن دار حرب أشد من بلاد الترك، ولكنها تحولت بعد الجهود المتوالية إلى دار إسلام، وأصبحت في فترة تالية كعبة العلم والعلماء، ونشأت فيها مراكز علمية وحضارية مثل: بخارى، وبلخ، وسمرقند، ونيسابور، وهراة، ومرو، والري، وجرجان، وسرخس، وطبرستان، وغيرها. وخرجت هذه المدن عددا هائلا من العلماء استضاءت بهم الأمة، ومألت أسماؤهم سمع الدنيا وبصرها.

واليوم تتوزع هذه البلاد بين إيران وأفغانستان. أما الجزء الأكبر منها فيقع في الجمهوريات الإسلامية الخمسة في آسيا الوسطى "قازاخستان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وطاجيكستان، وقيرغيزيا" (1).

ثانيا: العقائد الدينية القديمة للمغول قبل دخولهم الإسلام.

1. المغول:

منذ مطلع القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، تحرر المغول من الوصايا التركية بفضل تغلب "القرخطاي" على الأتراك "القرغيز" التي فرضت عليهم منذ سقوط "جوان جوان" في منغوليا بالإضافة إلى ذلك تأسيس دولة القرخطائي في الربع لأول من القرن 6هـ / 12م².

فالمغول شعب بدوي ينقسم إلى عدة طوائف و قبائل تسكن إقليم منغوليا هذه القبائل من البدو الرحل التابعين للفروع الثلاثة :الأتراك والمغول والتونغوز وجميعهم من الجنس الآلتائي.

عرف هذا القطيع من المغول في الغالب القبيلة الذهبية نسبة إلى خيامهم ذات اللون الذهبي، كما سميت دولة المغول هناك باسم سلطنة القفجاق ودولة القفجاق ، وقد تعددت الأسماء لهذه المملكة كما يذكر الرمزي أنها كانت تسمى بجوجي الوسي يعني حصة جوجي، ومملكة باطو، وبرية بركة، ومملكة بركة، ومملكة دشت القفجق والمملكة الشمالية، ومملكة أوزبك اشتهرت هذه

¹ -جميل عبد الله محمد المصري ،حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة" ط مكتبة العبيكان -الرياض، 1996م"

² بيرتولد شبولر :المغول في التاريخ، تر يوسف شلب الشام ، ط 1 ،طلاسم الدراسة ، دمشق 1989م، ص 13.

المملكة باسم مملكة القفجق لكون دار مملكة هؤلاء المغول وكرسي سلطنتهم بلدة سراي في أرض دشت القفجق.¹

الدين :

من المعروف أن المغول لم يكونوا يعتقدون بدين، وحيث إن الفزع الذي ألقوه في قلوب الناس؛ منع ذوي الرأي والمؤرخين منهم من التحقيق ومعرفة طبيعة معتقداتهم؛ لذلك جاءت تفسيراتهم صورة باهتة مكتفين بالقول بأنهم كانوا كفاراً لا يعبدون الله⁽²⁾.

ولم يكن ملكهم جنكيز خان متقلداً لأي دين أو تابعاً لأي مذهب، فقد كان بعيداً عن التعصب، وعن تفضيل أمة على أمة وترجيح بعضها عن بعض، بل إنه بجّل وكرّم علماء وزهاد كل طائفة وحباهم بالمزيد من الاعتزاز، وكان يعدّ هذا وسيلة للتقرب إلى الحق -جل وعلا-، كما نظر إلى المسلمين نظرة توقير وتقدير وأعز النصارى والبوذيين، واختار كل واحد من أولاده وأحفاده من المذاهب ما يوافق ميله وهواه⁽³⁾.

وكان أكثر المغول يدينون بديانة الأقوام الأقدمين، فهم وثنيون وكانت ديانتهم تعرف بالشامانية⁽⁴⁾، وقد ظلت فيهم حتى حلت محلها الديانة البوذية، وقد كان المغول طبقاً لعقائد الشامانية يعبدون كل شيء يسمو على مداركهم ويدق على أفهامهم وكل ما يرهبهم ويدخل الخوف إلى أفئدتهم، لهم آلهة في النهر والجبل والشجرة الكبيرة، وكانوا لا يتقربون إلى هذه الآلهة إلا لخوفهم منها ولرغبتهم في إبعاد غضبها وجلب رضاها، يرجون منها الصحة في أجسامهم وعقولهم، ويرجون منها حماية أبنائهم وحيواناتهم⁽⁵⁾.

¹ لرمزي: تلفيق الأخبار وتلفيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، المطبعة الكريمة الحسينية، أورنبورغ، مج 1، ص 382.

² - داوود القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ط 1، مطبعة القضاء، النجف، 1970، ص 19.

³ - الجويني، تاريخ فاتح العالم "جهان كشاي"، ج 3، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006، ص 66.

⁴ - الشامانية اصطلاح أطلق على مجموعة من الديانات البدائية، التي استقطبت حول شخصية الكاهن، الذي عُرف في سيبيريا باسم شامان، ومن هذه العبارة اشتقت التسمية الحديثة، والشامان تصير إليه وظيفته وراثية أو باختيار سماوي، ويمر في عدة أطوار حتى يتمكن من ممارسة وظيفته التي تجعله بالنسبة لقومه رجل دين وسحر وطب وحتى سياسة وحرب وغير ذلك. انظر شوبر، برتولد، العالم الإسلامي في العصر المغولي، ط 1، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1402، 1402هـ/1982م، ص 21.

⁵ - بدر، مصطفى طه، محنة الإسلام الكبرى، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص ص: 82-83.

ومن معتقدتهم في ذبح الحيوان أن تُلفَّ قوائمه ويُشَقَّ جوفه، ويُدخل أحدهم يده إلى قلبه فيمرسه بيده حتى يموت أو يُخرج قلبه، ومن ذبح ذبحة المسلمين ذُبح⁽¹⁾.

وكان أتباع الديانة الشامانية يعبدون أرواح أجدادهم؛ لاعتقادهم أن لهذه الأرواح سلطاناً كبيراً على حياتهم، كما كانوا يؤمنون بالقوى السحرية، فلا غرو أن كان لكهنة هذا الدين خبرة بالسحر؛ ولهذا كانوا يعنون عناية كبيرة بالتنجيم⁽²⁾، فكانوا على رغم اعترافهم بإله عظيم قادر، لا يؤدون له الصلوات، وإنما كانوا يعبدون طائفة من (الآلهة) المنحطة وبخاصة تلك (الآلهة) الشريرة التي كانوا يَعُدُّونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم، ولكي يوفق بين هذه القوى السماوية والعالم السفلي يلجؤون إلى القسيسين (الشامان) والسحرة ورجال الطب، الذين كانوا يَعُدُّونهم ذوي نفوذ خفي وسلطان غريب على عناصر الموتى وأرواحهم⁽³⁾.

ويذكر الباحث إسماعيل الخالدي كلاماً عن عقيدة المغول يقول: وإني أرجح بأن عقيدة المغول المشوهة⁽⁴⁾ التي أشار إليها المؤرخون هنا وهناك ما هي إلا بقايا عقيدة كانت صحيحة جاءت عن طريق بعض الرسل مصداقاً لقوله تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)⁽⁵⁾، وكانت لهذه الأمم عقيدة صحيحة شوّهت مع مرور الزمن ثم تُرك كثيراً من أوامرها إلى أن جاء "جنكيز خان" فأمر بكتابتها بالخط "الإويغوري" بعد أن أضاف إليها ما يعتقد أنه ينفع أمته ويقوي ملكه.

وكانت الديانة الشامانية أوسع انتشاراً بين القبائل المغولية مقارنة بالديانات الأخرى، وظلت منتشرة بينهم حتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث حلت مكانها الديانة البوذية⁽⁶⁾.

¹ - ابن العباس أحمد، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة ط2، ج4، دار الكتب المصرية، الإنشاء، القاهرة، 1340هـ/1922م، ص 311.

² - فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، ج1، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1980 ص 335.

³ - أرنولد، سير توماس، الدعوة إلى الإسلام، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص 251.

⁴ يقصد ديانة المغول الشامانية، انظر، الخالدي إسماعيل عبدالعزيز، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1401هـ/1984م، ص 34، 35.

⁵ - سورة فاطر، آية 24.

⁶ - فتحي اللهبي، رياح الشرق، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2013، ص 37.

لم تُشير المصادر والمراجع التاريخية التي تناولت دراسة تاريخ المغول إلى أية معلومات مفصلة عن الديانة المغولية ومبادئها سوى بعض الإشارات البسيطة التي لا تكفي لإرواء عطش المختصين، وتجعلهم في حيرة من أمرهم في التعامل مع هذا الجانب، وتشكل عقبة أمامهم في التوصل إلى المبادئ الصحيحة للديانة المغولية⁽¹⁾.

ولعل منكوخان سنة (1251-1260م) خير من عبّر عن حقيقة معتقدات المغول في لقائه وحديثه إلى بعض القسس والذي يتمثل فيه هذا التأثير بقوله: "نحن المغول نعتقد بأن هناك إلهًا واحدًا، له نَحْيَا وله نموت، وعندنا قلب يُخفق بحبه، لكن الله الذي أعطى اليد أصابع مختلفة، كذلك أعطى الناس طرقًا مختلفة، فقد أعطاكم الكتاب المقدس، لكنّ المسيحيين لم يحافظوا عليه، وقد أعطانا "الشمانس" ونحن نفعل ما يأمرونا به ونعيش بسلام⁽²⁾.

ثالثاً: الصوفية وانتشارها في العالم الإسلامي.

بعض أسباب انتشار الصوفية في العالم الإسلامي:

1- الأحوال السيئة التي كانت تعيشها الأمة الإسلامية، والواقع المرير الذي كان يعيشه المسلمون في تلك الفترة، من انتشار التخلف والظلم والطغيان والفقر والمرض والجهل، كل ذلك جعل الناس يرمون في أحضان الصوفية، التي لا تقوم بأكثر من الترييت عليهم، والتخدير لهم، وجعلهم يعيشون في غير واقعهم الذي فروا منه. (لقد ضاق العالم الإسلامي بالحياة الدنيا وكره ما تنطوي عليه من ألوان الشر وضروب الظلم، وانتهت الرغبة في إصلاح الدنيا عند نفر من أهله، بتصور مملكة باطنية وراء الدنيا التي تعيش في رحابها وتكرع من آثامها وشرورها.

وكان طبيعياً بعد أن أقام هذه الدولة في مخيلته، أن يبحث لها عن حكام عدول يتولون إدارتها والإشراف على أحوالها، ثم يخرج من هذا إلى تصنيف هؤلاء الحكام، فصنفهم بطريقة تعسفية في طبقات تختلف باختلاف المصنفين، ويتزعمها القطب وتليه فئات من الأوتاد والأبرار والنقباء

1 - اللهبي، مرجع السابق ، ص 36.

2 - داود القزاز، مرجع السابق ، ص 20-21.

والنجباء والأبدال... وغير ذلك ممن يشرفون على مختلف مظاهر الحياة في هذه المملكة الباطنية، ويسيرون دفتها وينظمون أمورها ويعوضون الناس خيراً عما يلقونه من شر دنياهم⁽¹⁾.

فالأحوال السيئة التي عاشها المسلمون في الماضي، جعلتهم يقبلون على التصوف، ويلتفون حول رجاله، عليهم يجدون عندهم خلاصاً مما نزل بهم من ظلم فادح، أو يجدون عندهم حلاً لمشكلاتهم المستعصية من فقر مدقع، أو مرض مستفحل، وعاهة مزمنة.

وهنا يبرز سؤال مهم وهو: لماذا كان الإقبال شديداً على المتصوفة دون غيرهم؟ أو بعبارة أخرى: لماذا كان اللجوء إلى المتصوفة دون الفقهاء والمتكلمين؟ وليس من داع للإطالة في الجواب، فإن الجفاف الذي أصاب مناهج الفقه والعقيدة، وبالتالي انعكاس ذلك على علمائهما كان حائلاً بينهم وبين الجماهير المحرومة المضطهدة، التي كانت تتطلع إلى من يقف بجانبها ويساندها في المحن التي تعصف بها، ولكن الفقهاء والمتكلمين كانوا منهمكين في مسائل جافة، وأطروحات عقيمة، على الأقل بالنسبة لهذه الجماهير المحرومة ولا يلتفت أحد منهم إليهم، أو يحاول الوقوف معهم في ما يتعرضون له من أزمات، بينما كان المتصوفة ينشرون عقائدهم ودعائهم التي لم يكن فيها من الجفاف ما كان عند الفقهاء والمتكلمين، بل هي على العكس تماماً، حيث تتوافق مع رغبات العامة وما يحلمون به من حياة هنيئة، وعيش رغيد.

ومن ذلك ادعاء الصوفية: (بأن الزهد في طلب الدنيا والاستهانة بملاذها والإعراض عن شهواتها، إذا صحبه الانقطاع للعبادة والتجرد للذكر والتهجد والعمل بما يرضي الله، تكفل بأن يسلم صاحبه إلى حضرته، ومتى اتصل الفقير بربه، أخذ عنه العلم والحكمة والدين والثراء وكافة ما يشاء من مطالب الدنيا رأساً من غير واسطة، واستمد منه - تعالى - القوة التي ترفعه عن كافة البشر وتجعل في مقدوره إتيان الخوارق والكرامات)⁽²⁾.

وتحافت الناس إلى زوايا الصوفية وشيوخها، هارين من الجحيم الذي يعيشون فيه، ليجدوا عندهم خلاصاً وفكاً كما كان يقع عليهم كما يتوهمون. وكان كلما ازداد الواقع مرارة، تسارع الناس إلى الصوفية، وأمعنوا في تصديق تلفيقاتها وأكاذيبها.

¹ - توفيق الطويل ، التصوف في مصر إبان العصر العثماني ، ط1 ، مطبعة الاعتماد ، مكتبة الآداب القاهرة . (1365هـ - 1946م) . ص 124 .

² - توفيق طويل ، مرجع سابق ، ص 55.

هذا بالإضافة إلى تبني كثير من علماء الكلام والفقه للتصوف واقتداء العوام بهم، واستخدام هؤلاء المتصوفة أساليب شيطانية تقوم على خداع الناس وإخضاعهم بالترغيب لمن ينساق خلفهم والترهيب من مخالفتهم.

وباختصار فإن غياب العلماء الربانيين عن الساحة الإسلامية، جعل الجماهير المسلمة تتدفق إلى رحاب الصوفية، وتترلق في دركاتهما، لأنه لم يكن في الساحة غيرها.

2- أمن أهل الطريق وطمأنيتهم في أزمنة الشدة: في القرون المتأخرة وخاصة القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، كانت حياة المسلمين مضطربة بالفتن والأزمات، وعرضة لكثير من ضروب الطغيان وصور الظلم، وكان اضطراب الأمن وانعدامه سمة من سمات تلك العصور، حيث تزهق الأرواح لأسباب تافهة بل دون أسباب في بعض الأحيان، وفي هذه الأجواء الحالكة، والظروف العصيبة، كان أرباب التصوف يحيون حياة هادئة يرفرف عليها الأمن والاطمئنان، بعيدة عن غوائل الفتن التي كانت تغتال الأفراد، وتصيب المجتمعات.

فكثيراً ما كان يقوم الناس في الأزمات بارتداء ملابس المجاورين لينجوا بأنفسهم من الأخطار التي كانت ستناهم خلال تلك الأزمات لو كانوا من عامة الناس⁽¹⁾.

و(قد كان الفقراء أرواح بالاً وأكثر طمأنينة من الفلاحين في حقولهم والتجار في متاجرهم والصناع في مصانعهم، فقد كانوا في أمان من تطبيق القوانين... وكانوا في أغلب فترات الظلم الفادح في نجاة من هذه الشرور كلها، لأن الجنود⁽²⁾ كانوا يخافون بأسهم، ويخشون سلطاتهم الروحي، ويؤمنون باتصالهم بالله^o فيتزلفون إليهم ويطلبون الرضا منهم، فأقبل بعض الناس على دخول الطريق مدفوعاً بما سيصيبه في رحاب الزوايا من اطمئنان البال واستقرار الحال⁽³⁾).

3- الترف في معيشة أرباب الطريق: بالإضافة إلى الأمن والطمأنينة النجاة من ضغط الحياة يومذاك لا يجهدون أنفسهم في احتراف عمل يكسبون قوتهم من ورائه، بل كانوا يعيشون في الزوايا،

¹ الجبرتي الحنفي، بتحقيق عبد الرحمن عبد الرحيم، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج2، ط1، دار الكتاب المصرية بولاق، القاهرة، 1998، ص240.

² كان الجنود العسكريون هم مصدر أغلب الثورات والفتن والأزمات في تلك الفترة.

³ توفيق الطويل، مرجع سابق، ص152-154.

طاعمين كاسين، على نفقة المحسنين والأثرياء، بدعوى التفرغ للذكر والانقطاع للتهجد والتجرد لعبادة الله.

ومن أطرف مفارقات هذا العصر أن يكون هؤلاء الزهاد الذين يدعون التقشف والقناعة بالتافه من شئون العيش، أرغد عيشاً وأترف حياة من الفلاحين والتجار وأرباب الحرف . وبسبب المعيشة التي كان يتمتع بها أرباب الطرق في زمن الشدة والجوع اتكالا على الأوقاف والهبات التي كانت تنهال عليهم، رغب الناس في طرقهم، والعيش في زواياهم، ليظفروا بذلك المستوى من المعيشة الذي لم يكن متوفراً لغيرهم من قطاعات المجتمع الأخرى.

4- حب الأتراك العثمانيين للدروشة والتصوف: (كان الأتراك يحبون التصوف ويميلون إلى تقديس أهله والإيمان بصدق ولايتهم⁽¹⁾ .

ويذكر الجبرتي أن الأتراك يميلون إلى الدراويش وذلك حين تحدث عن تجديد التكية البكتاشية التي قام بتجديدها رجل من الدراويش، بعد أن طلب مساعدة الوالي التركي في مصر حسن باشا، الذي لى طلبه على الفور، وسارع بتقديم الأموال اللازمة لذلك. وصار ذلك الدراويش كما يقول الجبرتي: (من أخصائه لكونه من أهل عقيدته

ومن ذلك إعفاء العثمانيين لأتباع بعض الطرق الصوفية من الخدمة العسكرية⁽²⁾ ، وجعل الناس يبادرون بالانضواء إلى تلك الطرق، فرازا من مشاق تلك الخدمة المضنية.

(لقد كانت الصوفية قد أخذت تنتشر في المجتمع العباسي، ولكنها كانت ركناً منعزلاً عن المجتمع، أما في ظل الدولة العثمانية، وفي تركيا بالذات، فقد صارت هي المجتمع وصارت هي الدين، وانتشرت -في القرنين الأخيرين بصفة خاصة- تلك القولة العجيبة: من لا شيخ له فشيخه الشيطان! وأصبحت -بالنسبة للعامة بصورة خاصة- هي مدخلهم إلى الدين وهي مجال ممارستهم للدين⁽³⁾ .

¹ -الجبرتي الحنفي ، المصدر السابق ، ص 154 .

² جندي محمد سليم ، عمر ريشا ، تاريخ معرة النعمان ، ج 1 ، ط 1 ، وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ، 1963 ، ص 260 .

³ - محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1418هـ - 1997م ، ص 155

إن التصوف في العصر العثماني كان في اعتبار الناس زبدة الدين وخلاصته، وقد شاع واستفحل أمره، واستشرى داؤه، واستبد بعواطف الناس، وكان أكبر العوامل في توجيه حياتهم في هذا العهد وما بعده⁽¹⁾.

وقد كان كثير من سلاطين بني عثمان يقومون برعاية الصوفية، ويفيضون عليها من عطفهم وحبهم، حتى جاء السلطان عبد الحميد الثاني إلى عرش السلطنة في ظروف عصيبة، والمؤامرات تحاك للأمة، والكوارث والحن تحيط بها من كل مكان، ودعاة القومية والتفرقة يثنون دعواتهم في سائر البلاد، فدعا كما هو معروف إلى الجامعة الإسلامية، والرابطة الدينية، وكانت الصوفية هي محور الجامعة التي نادى بها عبد الحميد الذي نشأ صوفياً.

(وقد أفاد عبد الحميد من نزعتة الصوفية -بدون شك- فاستقطب الدراويش، وتقرب إلى العامة والبسطاء، كما أكرم العلماء وشيوخ الطرق الصوفية، وقرب النابغين من رجالات هذه الفرق⁽²⁾).

خلاصة الفصل:

ويمكن القول بأن السلطان عبد الحميد اعتمد على الصوفية في دعوته إلى الجامعة الإسلامية لما رآه من انتشارها ونفوذها بين الناس، كما أن ذلك الاعتماد والتبني قد زاد من انتشار الصوفية وتغلغلها في أوساط المسلمين.

وعلى العموم يمكننا مطمئنين أن نطلق على ذلك العصر الذي نحن بصدد دراسته أنه عصر الصوفية، فقد أطبقت على العالم الإسلامي من أدناه إلى أقصاه، ولم تبق مدينة ولا قرية إلا دخلتها

¹ - طویل توفیق ، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة الادب ، القاهرة ، 1946 ، ص 11 .
² - أنوار جندي ، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ، دار ابن زيدون ، بيروت ، 1407 هـ 1987 ، ص 122 .

الفصل الثاني:
التصوف والصوفية

المبحث الاول: تعريف التصوف والصوفية ونشأتها وسبب التسمية
ومصادر التلقي عندهم.
المبحث الثاني: مدينة مراغة والطرق الصوفية.
المبحث الثالث: العناية الخاصة لسلطين وامراء المغول وخواتيمهم للتيار
الصوفي.

تمهيد:

منذ ظهور الإنسان في هذا العالم ، مضى بعض بنيه يقيمون في حالة اعتكاف أو انطواء مع نظر إلى السماء واحتقار للمادة ، والزهد في العبادة ومجاهدة النفس ضد شهواتها، هذا ما جعل التصوف من المواضيع الهامة التي جذبت اهتمام المفكرين ورجال الدين ، خاصة وأن هذا الأخير لم يقتصر ظهوره على مكان معين أو على طائفة أو ديانة محددة، بل له جذور عريقة كانت منذ القديم وال تزال تمتد وتتوسع لتطال كل جزء من المعمورة، رغم الاختلاف الموجود حول تحديد مفهوم شامل له وكذا تحديد المنطلق الذي نشأ منه التصوف ، ألنه موضوع متشابك حيث أنه وجد في جل الأديان تقريبا ، لذا فهو له مصادره المختلفة ومراحل تطور متعددة تعددت بظهور ما يعرف بالطرق الصوفية

أولا: تعريف التصوف والصوفية ونشأتها وسبب التسمية ومصادر التلقي عندهم:

تعريف التصوف والصوفية:

1. لغة:

قال الجوهري في (الصحاح): (الصوف للشاة والصوفة أخص منه وصوفة أي حي من مضر وهو الغوث بن مريم بن أدين بن طابجة بن إلياس ابن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يغضون بهم).

وكبش صاف أي كثير الصوف¹ وصاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف عدل عنه. ومنه قولهم صاف عني شر فلان واصاف ، لله عني شره² ومن خلال هذه التعريفات اللغوية المتقدمة يتضح لنا أن كلمة صوف تأتي بمعنى الصوف المعروف للشاة ونحوها. كما تأتي بمعنى مال وعدل⁽¹⁾

ويرى أحمد بن فارس أن الباب كله يرجع إلى الصوف المعروف وفي ذلك يقول: (الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح وهو الصوف المعروف.

يقال : كبش أصوف وصوف وصائف وصاف كل هذا يكون في كثير الصوف.

ويقولون : خذ بصوفة قفاه إذا أخذ بالشعر السائل في نقرته .

¹ لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ج3، ط1، تح ابراهيم شمس الدين ، شركة الإعلامى ، القاهرة، ص332 .

وذهب أحمد بن علي المقرئ في (المصباح المنير) إلى أن كلمة صوفية كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية⁽¹⁾.

وقال ابن خلدون في (المقدمة): (إن قيل بالاشتقاق فإنها مشتقة من الصوف لأنهم في الغالب مختصون به)⁽²⁾.

2. اصطلاحاً:

وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعريفه اصطلاحاً، كما اختلفوا في أصله واشتقاقه، بل اختلفوا هنا في تعريفه اختلافاً كثيراً حتى تناقضت وتعارضت تعريفاتهم فمن المتصوفة الذين أوردوا تعريفات عدة للتصوف:

- 1- معروف الكرخي وقد عرفه بما يلي: (التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق)⁽³⁾.
- 2- الجنيد وقد عرفه بما يلي فقال: (التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة) وقد عرفه أيضاً بما يلي فقال: (التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الربانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة)⁽⁴⁾.
- وقد عرّف سحنون التصوف بما يلي حين سئل عنه فقال: (التصوف هو ألا تملك شيئاً ولا يملك شيء)⁽⁵⁾.

3. نشأة التصوف:

¹ - أحمد ابن محمد بن علي المقرئ ، المصباح المنير، ج 1 ، ط 5 ، تح مجتبي المحمود ، مطبعة الأميرية . القاهرة ، 1922 ، ص 481

² -مقدمة ابن خلدون، العبر والديوان ج1، ط 1 ، تح كاترمير ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1858 ، ص467.

³ - السهروردي ، عوارف المعارف ، ط 1 . تح توفيق علي ، و احمد علي الرحيم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1999 ، ص 62 .

⁴ - الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، ط 1 ، تح ارثرجون اربري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1352هـ - 1933م ، ص34.

⁵ -ابن نصر الطوسي ، طه عبد الباقي ، اللمع ، ط 1 ، تح عبد حليم محمود . دار الكتب الحديثة ، مصر ، 1382 هـ - 1960 م ، ص 16.

إن الناس اختلفوا في بدء ظهور هذه الكلمة واستعمالها كاختلافهم في أصله وتعريفه، فذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزي وابن خلدون في هذا أن لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة الأولى، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل، وأبي سليمان الداراني وغيرهما، وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري

وقال السراج الطوسي في الباب الذي خصصه للرد على من قال: لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مستحدث: يقول في هذا الباب: (إن سأل سائل فقال: لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين، ولا فيمن كان بعدهم، ولا نعرف إلا العباد والزهاد والسيّاحين والفقراء، وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوفي، فنقول وبالله التوفيق.

الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حرمة، وتخصيص من شمله ذلك، فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة، وذلك لشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمته، ألا ترى أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمختبين، وغير ذلك، وما نالوا جميع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نسبوا إلى الصحبة والتي هي أجل الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أجل الأحوال وبالله التوفيق.¹

وأما قول القائل: إنه اسم محدث أحدثه البغداديون، فمحال، لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وقد روي عنه أنه قال: رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معي أربعة دنانير يكفيني ما معي.

وروي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء، وقد ذكر الكتاب الذي جُمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار، وعن غيره يذكر فيه حديثاً: أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد،

¹ ابن خلدون ، مصدر السابق ، ص 476 .

وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف، فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم¹ وبمثل ذلك قال السهروردي: (وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: كان في زمن التابعين - ثم نقل عن الحسن البصري وما نقلناه عن الطوسي أيضا - ثم قال: وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية)⁽²⁾.

وصرح عبد الرحمن الجامي: (أن أبا هاشم الكوفي أول من دعي بالصوفي، ولم يسم أحد قبله بهذا الاسم، كما أن أول خانقاه بني للصوفية هو ذلك الذي في رملة الشام، والسبب في ذلك أن الأمير النصراني كان قد ذهب للقنص فشاهد شخصين من هذه الطائفة الصوفية سرح له لقاؤهما وقد احتضن أحدهما الآخر وجلسا هناك، وتناولوا معا كل ما كان معهما من طعام، ثم سارا لشأهما، فسرّ الأمير النصراني من معاملتهما وأخلاقهما، فاستدعى أحدهما، وقال له: من هو ذاك؟ قال: لا أعرفه، قال: وما صلتك به؟.

قال: لا شيء. قال: فمن كان؟.

قال: لا أدري، فقال الأمير: فما هذه الألفة التي كانت بينكما؟.

فقال الدرويش: إن هذه طريقتنا، قال: هل لكم من مكان تأوون إليه؟.

قال: لا، قال: فإني أقيم لكما محلا تأويان إليه، فبنى لهما هذه الخانقات في الرملة)

وأما القشيري فقال: اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة)⁽³⁾.

وأما الهجويري فلقد ذكر أن التصوف كان موجودا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وباسمه، واستدل بحديث موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سمع صوت أهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين).

مع أنه نفسه كتب في نفس الباب في آخره شارحا كلام أبي الحسن البوشنجي (التصوف اليوم اسم بلا حقيقة، وقد كان من قبل حقيقة بلا اسم) فكتب تحته موضحا:

¹ -الطوسي ، مصدر السابق ، ص 42، 43 .

² - السهروردي ، مصدر سابق ، ص 63.

³ - القشيري ، الرسالة القشيرية ، ط1 ، شركة المكتبة ، مصر ، 1359 هـ - 1940 م ، ص 52 .

(يعني أن هذا الاسم لم يكن موجودا وقت الصحابة والسلف، وكان المعنى موجودا في كل منهم، والآن يوجد الاسم، ولا يوجد المعنى).

وأما المستشرقون الذين كتبوا عن التصوف، ويعدون من موالي الصوفية وأنصارهم، فمنهم نيكلسون فإنه يرى مثل ما يراه الجامي أن لفظة التصوف أطلقت أول ما أطلقت على أبي هاشم الكوفي المتوفى سنة 150 هـ⁽¹⁾.

ولكن المستشرق الفرنسي المشهور ما سينيون يرى غير ذلك، فيقول:

ورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إذ نعت به جابر بن حيان، وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص، وأبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور.

أما صيغة الجمع (الصوفية) التي ظهرت عام 189 هـ (814 م) في خبر فتنة قامت بالإسكندرية فكانت تدل قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة، وكان عبدك الصوفي آخر أئمتته، وهو من القائلين بأن الإمامة بالإرث والتعيين، وكان لا يأكل اللحم، وتوفى ببغداد حوالي عام 210 هـ. وإذن فكلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة⁽²⁾.

وقال أيضا: صاحب عزلة بغداد، وهو أول من لقب بالصوفي، وكان هذا اللفظ يومئذ يدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة، وعلى رهط من الثائرين بالإسكندرية، وقد يعدّ من الزنادقة بسبب امتناعه عن أكل اللحم، ويريد الأستاذ أول من لقب بالصوفي في بغداد كما يؤخذ مما نقله عن الهمداني، ونصه:

(و لم يكن السالكون لطرق الله في الإعصار السالفة والقرون الأولى يعرفون باسم المتصوفة، وإنما الصوفي لفظ أشتهر في القرن الثالث، وأول من سمي ببغداد بهذا الاسم عبدك الصوفي، وهو من كبار المشايخ وقدمائهم، وكان قبل بشر بن الحارث الحافي والسري بن المفلس السقطي⁽³⁾).

¹- نيكلسون، التصوف الإسلامي وتاريخه، ط 1، تر لأبي العلاء العفيفي، اللجنة، القاهرة، 1366 هـ 1947م، ص 3.

²- حسن امين، دائرة المعارف الإسلامية، ج 6 ط 6، دار المعارف، بيروت، 1423 هـ - 2002 م، ص 419.

³- قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، ط 1، تر لصادق نشأت، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ص 64.

والجدير بالذكر أن هؤلاء الثلاثة الذين يقال عنهم بأنهم أول من سَمَّوا بهذا الاسم، وتلقبوا بهذا اللقب مطعونون في مذاهبهم وعقائدهم، ورمى كل واحد منهم بالفسق والفجور وحتى الزندقة، وخاصة جابر بن حيان، وعبدك كما سيأتي ذلك مفصلاً في محله من الكتاب إن شاء الله. وقد سبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (إن لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك)⁽¹⁾.

وبمثل ذلك قال ابن خلدون: فخلاصة الكلام أن الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم، وعدم وجوده في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالحين .. نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد خلق الله في الدنيا وزخارفها، وأصحابه على سيرته وطريقته، يعدّون الدنيا وما فيها لها ولعبا، زائلة فانية، والأموال والأولاد فتنة ابتلي المؤمنون بها، فلم يكونوا يجعلون أكبر همهم إلا ابتغاء مرضاة الله، يرجون لقاءه وثوابه، ويخافون غضبه وعقابه⁽²⁾، آخذين من الدنيا ما أباح الله لهم أخذه، والمتجنّين عنها ما نهى الله عنه، سالكين مسلك الاعتدال، متتهيين منهج المقتصد، غير باغين ولا عادين، مفرطين ولا متطرفين، وعلى رأسهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون، وبقية العشرة المبشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب بيعة الرضوان، ثم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ثم عامة الأصحاب، على ترتيب الأفضلية...

وتبعهم في ذلك التابعون لهم بإحسان، واتباع التابعين، أصحاب خير القرون، المشهود لهم بالخير والفضيلة، ولم يكن لهؤلاء كلهم في غير رسول الله أسوة ولا قدوة، الذي قال فيه جل وعلا (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)⁽³⁾.

¹ - انظر ، ابن تيمية ، الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 5.

² - ابن خلدون مصدر سابق ، ص 476.

³ -سورة الضحى.

فلم يظهر التصوف مذهباً ومشرباً، ولم يرج مصطلحاته الخاصة به، وكتبه، ومواجهه وأنشده، تعاليمه وضوابطه، أصوله وقواعده، وفلسفته، ورجاله وأصحابه إلا في القرن الثالث من الهجرة وما بعده⁽¹⁾.

4. مصادر التلقي عند الصوفية:

المصدر الأول: الأفلاطونية الحديثة:

ذكر جمع من الكتاب والباحثين في التصوف ممن اشتغلوا بالتصوف من المسلمين وغير المسلمين. وقل من شذ عنهم أن الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول بدءاً من أبي اليزيد البسطامي، وسهل التستري، والترمذي الملقب بالحكيم، ابن عطاء الله الأسكندري، وابن سبعين، وابن الفارض، والحلاج، ولسان الدين بن الخطيب، وابن عربي، والرومي، والجيلي، والعراقي، والجامي، والسهوروردي المقتول، وأبا يزيد الأنصاري وغيرهم. وأن هؤلاء أخذوا نظرية الفيض والمحبة والمعرفة والإشراق مع الآراء الأخرى التي تمسكوا بها عن الأفلاطونية المحدثه.

وعبارات الصوفية أنفسهم ناطقة بها وشاهدة عليها ولو أنهم اختلطت عليهم آراء الأفلاطونية الحديثة وآراء أفلاطون وأرسطو وغيرهم من حكماء اليونان الآخرين، حيث نسبوا ذلك إلى هذا، وهذا إلى تلك.

فيقول صوفي معاصر: وأما وحدة الوجود الحلولية التي تجعل من الله كائناً يحل في مخلوقاته أو الاتحادية بالمعنى المفهوم خطأ تلك التي تجعل من الكائن الفاني شخصية تتحد بالموجود الدائم الباقي المتزه عن سائر النسب والإضافات والأحياز الزمانية والمكانية المحدثه أو يتحد به شيء منها فإنها مذهب هندي أو مسيحي وليس بإسلامي ولا يعرفه الإسلام، استمدته أهل الشذوذ في التصوف الإسلامي من الفلسفة البائدة، وغذوا به مذهبهم الشاذ بفكر أفلاطونية وآراء بوذية وفارسية عن

¹ -إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر ، ط1 1406، ادارة ترجمان السنة ، بكستان هـ-1986 م ، ص/ 40 -

طريق الفارابي وابن سينا، حاله أن المتتبع لحياة الحلاج ومؤلفات السهروردي وابن عربي يرى أنهم تأثروا بالمتفلسفة المسلمين الذين أخذوا عن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والأرسطو طاليسية⁽¹⁾.

وكتب قبله بقليل: (فكان يعلن بعضهم أنه اطلع على الغيب وأن في مقدوره الإتيان بخوارق العادات ثم يذهب إلى ما هو أبعد من هذا مثل قوله الحلاج المشهورة: ما في الجبة غير الله - وغيره: أنا الحق ويمثل هذا وذاك ثار على الحلاج معاصروه ورموه بالسحر تارة والجنون أخرى وعذب عذاباً أليماً إلى أن مات في أوائل القرن الرابع، والله أعلم بحاله وكان من أمثال الحلاج من بالغوا مبالغة قلت أم كثرت كشهاب الدين عمر السهروردي المقتول رئيس جماعة الإشرافيين ومحبي الدين بن عربي الأندلسي. وابن سبعين الصقلي، وهم من رجال القرنين السادس والسابع وتابعهم جماعة من شعراء الفرس أمثال جلال الدين الرومي وفريد الدين العطار وكلهم يرمي إلى أن يقيم التصوف الإسلامي على دعائم فلسفية أو فارسية وهندية أو يونانية ويقول الدكتور عبد القادر محمود: (فإذا عدنا إلى تاريخ الاتصالات الأولى نجد أن الثقافة اليونانية كانت هي الثقافة المسيطرة على العقول في الشرق منذ عهد الإسكندر بالإضافة إلى ثقافات الشرق نفسه، حتى إذا أقبل المسلمون على حضارات غيرهم من الأمم القديمة كان إقبالهم على الثقافة الهلينية بمعونة نساطرة الحيرة وبمعاقبة غسان، والسريان في الشام وغيرها، والصابئة من أتباع زرادشت، واليهود والنصارى. لكن الذي نؤكد أنه باب الاتصال المباشر كان الأفلوطينية المحدثه ولو أن المسلمين حسبوها لأرسطو حين اعتقدوا خطأ أن كتاب (الربوبية) له، وهو في الواقع لأفلوطين الذي عرفوا من ورائه أفلاطون والثقافة اليونانية القديمة⁽²⁾).

ثم إن هناك فصولا منحولة لأفلاطون وسقراط وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين معظمها آداب وأقوال... وكلها تتشابه في بعض آرائها مع الأقوال المنسوبة إلى كبار الصوفية المسلمين في كتب طبقات الصوفية المختلفة (القشيري، السلمي، الشعراي، الهروي، العطار، الجامي⁽³⁾).

¹ - أبو الفيض منوفي، جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف، ج1، ط1، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1387 هـ - 1967 م ص 292، ص 267.

² - عبد القادر محمود، الفلسفة الصوفية في الإسلام، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1966-1967، ص 31، 32.

³ - عبد الرحمان بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975، ص 41، 42.

المصدر الثاني: المذاهب الهندية والفارسية:

وأما كون التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة، والمؤدية إلى الفناء، مأخوذة مستقاة من المذاهب الهندية والمناوية.

أن التصوف الإسلامي في القرن الثالث الهجري كان مشبعا بالأفكار الهندية، وأن الأثر الهندي أظهر ما يكون في حالة الحلاج. وفي المقالة الثانية يؤيد النظرية نفسها عن طريق بحث المصطلحات الصوفية الفارسية بحثا فيلولوجيا، وينتهي إلى أن التصوف الإسلامي هو بعينه مذهب الفيدانتا الهندية. ويستند هارتمان في إثبات نفس الدعوى إلى النظر في الصوفية أنفسهم وفي مراكز الثقافة القديمة التي كانت منتشرة في بلادهم، لا إلى المصطلحات الصوفية كما فعل هورترز. وخلاصة بحثه أن التصوف الإسلامي مدين للفلسفة الهندية التي وصلت إليه عن طريق مترا وماني من جهة، وللقبالة اليهودية والرهينة المسيحية والغنوصية والأفلاطونية الحديثة من جهة أخرى. وهو يرى أن الذي جمع هذه العناصر كلها ومزجها مزجا تاما في التصوف هو أبو القاسم الجنيد البغدادي (المتوفى سنة 297 هـ)، فإنه يجب أن تتجه عناية الباحثين. أما حججه في تأييد الأصل الهندي فهي:

أولا: أن معظم أوائل الصوفية من أصل غير عربي كإبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي وأبي يزيد البسطامي ويحيى بن معاذ الرازي.

ثانيا: أن التصوف ظهر أولا وانتشر في خراسان.

ثالثا: أن تركستان كانت قبل الإسلام مركز تلاقي الديانات والثقافات الشرقية والغربية، فلما دخل أهلها في الإسلام صبغوه بصبغتهم الصوفية القديمة. وهذا كلام أشبه ما يكون بما ذكره كل من ثولك وفون كريم في هذا الموضوع.

رابعا: أن المسلمين أنفسهم يعترفون بوجود الأثر الهندي.⁽¹⁾

¹ - نيكلسون ، مصدر السابق ، ص 140.

المصدر الثالث: المسيحية المحرّفة:

جاء الإسلام وزالت بمجيئه نظريات الرهبة والتبتل والهروب إلى الصحاري والغابات وترك الأهل والأولاد واعتزال المجتمعات بحجة تطهير النفس وتربيتها وصار للرهبة في الإسلام مفهوماً جديداً يخالف تماماً ذاك المفهوم الذي كان عليه سابقاً في العهود الماضية قبل الإسلام فقد صارت الرهبة رمز الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى ومقارعة الأعداء والدخول في خضم المعارف بعد أن كانت رمزاً للخلوات المظلمة التي كثيراً ما تكون هذه الخلوات المظلمة مأوى لمردة الشياطين والتبتلات وقطع العلائق مع البشرية الذي نتج عنه الخلل العقلي والخيالات، ولما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستوصياً قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام))

لكن التصوف أعاد مفهوم الرهبة السابق إلى الأمة الإسلامية ودعا إلى الخلوات المظلمة وإلى الهروب عن الناس وإلى ترك التزوج ودعا إلى تطهير الروح عن طريق تعذيب الجسد بأنواع من المجاهدات الشاقة القاتلة وإلى لبس الصوف الخشن من الثياب عامة وتجويع النفس لتطهيرها والسياحة في البلاد ولذلك فالمتصوفة كانوا يستمعون إلى مواعظ الرهبان وأخبار رياضاتهم الروحية حتى يقتدوا بهم في سلوكهم وإليك نموذج لذلك من كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي وهو يدل على حرص الصوفية على الاستفادة من رياضات رهبان النصارى فقد أورد الغزالي عن إبراهيم بن أدهم وهو يعتبر من الرجال الذين يشار لهم بالبنان في الأوساط الصوفية: (قال إبراهيم بن أدهم: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان، دخلت عليه في صومعته، فقلت: يا سمعان مذ كم كنت في صومعتك؟ قال: منذ سبعين سنة، قلت: فما طعامك؟ قال: يا حنفي وما دعاك إلى ذلك؟ قلت: أحببت أن أعلم قال: في كل ليلة حمصة، قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة؟ قال: ترى الدير الذي بجذائك؟ قلت: نعم، قال: إنهم يأتون كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تناقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنفي جهد الساعة لعز الأبد. قال إبراهيم بن أدهم: فوق

في قلبي المعرفة. فقال: حسبك أو أزيدك؟ قلت: بلى. قال: انزل عن الصومعة؟ فترلت فأدلى لي بركة فيها عشرون حمصة⁽¹⁾.

وأن أثر المسيحية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة والفلسفة البوذية عامل لا سبيل إلى إنكاره في تكوين التصوف الإسلامي وقد كانت هذه المذاهب والفلسفات متغلغلة في الأوساط التي عاش فيها المتصوفة فلم يكن مخرج من أن تترك طابعها في مذاهبهم⁽²⁾.

ففي المفهوم المسيحي لطبيعة المسيح عليه السلام تتمحور المواقف حول وجهين لشخصية المسيح هما اللاهوت الذي حل في الناسوت، فالمسيح وفق مفهوم أوريجنس وهو فيلسوف مسيحي قد بدأ وظهر أو تجلى في شخص عيسى عليه السلام وفكرة الحلول هذه تفيد أن عيسى إنسان إلهي صورته الخارجية صورة إنسان وطبيعته الداخلية مما ينتمي للإله فهو من طبيعتين امتزجتا وصارتا طبيعة واحدة إنه مركب من الناسوت واللاهوت كما يزعمون⁽³⁾.

ثانيا: مدينة مراغة والطرق الصوفية:

ان من ادلة علو مكانة التصوف والصوفية عند المؤسسة السياسية في دولة المغول هو ان مدينة مراغة التي تمثل أكبر مركز علمي وفلكي⁽⁴⁾ في دولة مغول فارس والعراق، قد فتحت أبوابها امام كبار رجالات التصوف الذين كانوا يقصدونها من أماكن بعيدة ولغايات متعددة، حيث وجدوا في ذلك المركز التكریم والاحترام العالي والتبجيل من السلاطين والامراء المغول. ومن الصوفية الذين قصدوا مراغة من فضل البقاء فيها ما تبقى من حياته، وآخرين اكتفوا بالزيارة لنيل تکریم او لدراسة او التدريس فيها فحسب، ثم العودة من حيث اتوا ليستكمل رسالته في التصوف.

(1) الغزالي، الإحياء علوم الدين، 3 ج، ط 1، دار المنهاج، السعودية، 1432هـ - 2011م ص 334.

(2) نيكلسون، مصدر سابق، ص 43-43.

(3) أسعد السحمراني، التصوف منشؤه ومصطلحاته، ط 1، دار النفاس، بيروت 1407 هـ - 1987. ص 54.

(4) كانت مراغة تحتضن أكبر وأضخم مرصد العالم الفلكية في وقتها والذي كان يحوي مكتبة علمية عامرة للتفاصيل عن المرصد ومكتبته انظر المقال، ضياء الدخيلي، مرصد مراغة ومكتبتها، في مجلة الرسالة، العدد 799 والعدد 800، 1948.

راغة عام 665هـ، وفي مدة تواجدته ان هذا الاستقطاب نحو مركز الدولة العلمي له دلالة كبيرة على مكانة التصوف العالية عند المؤسسة السياسية، كما ان توافد كبار رجالات التصوف، ومن أماكن بعيدة، هو نفسه يمثل دلالة اقرار من جانب الصوفية، عما تكنه المؤسسة السياسية لهم من احترام كبير وتبجيل عال ورعاية ، عد حدثا تاريخيا مميزة. وهذا الاستقطاب لرجالات التصوف غير المؤلف، سواء أكان بدعوة من المؤسسة السياسية ام برغبة من الصوفية مهما بالنسبة لدولة مغول فارس والعراق، أرخه الموظف في بلاط تلك الدولة والمعاصر لأحداث الغزو المغولي ابن الفوطي(ت723هـ) في اثنين من أشهر مصنفاته التاريخية، الأول هو " مجمع الآداب في معجم الألقاب" والثاني " تذكرة من قصد الرصد"، والمصنف الثاني في عداد المفقودات. وتدوين هذا الحدث تاريخيا فيه دلالة على علو مكانة التصوف في الدولة المغولية لاسيما ان ابن الفوطي يمثل أحد موظفيها البارزين.

ومن ابرز رجالات التصوف الذين وصلوا مراغة وارخ ابن الفوطي قدومهم في مصنفه أعلاه: المؤتمن أبو الفضل جعفر بن علي بن عبد الكريم البغدادي الصوفي، كان من اعيان الصوفية وقد ورد مراغة عام 664 هـ قادما من بغداد⁽¹⁾، وكان المؤتمن أبو الفضل من رجالات التصوف الذين ذكرهم ابن الفوطي في كتابه "تذكرة من قصد الرصد" ولدنا في هذا السياق الصوفي علم الدين أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن موسى العراقي المعروف بتحواله في اقطار الارضين، وكان علم الدين قد قدم مهنك كان قد صعد الى مرصدها الفلكي الشهير، ولعل علم الدين كان ممن قيده ابن الفوطي في مصنفه المفقود "تذكرة من قصد الرصد"، ومن اطلوا على مراغة أيضا فخر الدين أبو الحسن علي بن يونس بن محمود الاهري الصوفي، وفخر الدين ابو عبد الله محمد بن الجنيد بن روزبهان بن علي الكتكي الشيرازي الصوفي (ت678)، ومحبي الدين أبو الفضل محمد بن شرف الدين بن هبة الله المحيا العباسي الكوفي البغدادي، وكان الأول قد سجل ابن الفوطي وروده الى مراغة في العام 664هـ، ويعد من اكابر الصوفية العلماء الا ان ابن الفوطي لم يفصل في الحديث عنه، اما الثاني وهو فخر الدين كان يحتل منصب شيخ الشيوخ بشيراز، وهو من رجالات التصوف الذي نالوا تكريم الخواجة نصير الدين الطوسي، ومن الذين كانت مكانتهم

(1) ابن بطوطة، مصدر سابق ، ص 39 .

كبيره لديه وتقديرهم عاليا، وهذا الرجل كان ممن التقاه ابن الفوطي في مراغة عام 670 هـ، ولا يعرف على وجه الدقة متى وصل إليها أقبل هذا العام أم في العام نفسه، اما الرجل الثالث وهو محيي الدين أبو الفضل محمد بن شرف الدين بن هبة الله الحيا، مدرس المستنصرية وشيخ رباط الشونيزية، ينحدر من بيت العلم والجلالة والفقہ والعدالة، جاء مراغة قادما من بغداد في عام 670 هـ، وإبان تواجده في مراغة درس على يد الخواجة نصير الدين، والشيخ نجم الدين القزويني، وعاد بعدها الى بغداد وقائمة رجالات الصوفية الذين ارخ ابن الفوطي قدومهم الى مراغة تطول لتضم اعداداً كثيرة أخرى نكتف بالإحالة إليهم تجنباً لإثقال المتن بكثرة الأمثلة التي قد تخل به وتولد مللا للقارئ¹

ثالثا: العناية الخاصة لسلطين وامراء المغول وخواتيمهم للتيار الصوفي:

مكانة الصوفية عند المؤسسة السياسية في دولة مغول فارس والعراق فستشعرها من الاهتمام المتزايد والتقدير الكبير من السلطين والامراء ومن خواتيمهم لشيخوخة الصوفيين ومرديههم، وبالشكل الذي فاق اهتمامهم بأئمة الدين والعلماء من الأديان والمذاهب الأخرى في مجتمع دولة مغول فارس والعراق، وان ذلك الاهتمام صدر من المؤسسة السياسية المغولية سواء أكانت تلك التي تدين بالوثنية ام بالإسلام، وهذا نلتمسه بعدة شواهد تاريخية تأتي عليها بحسب التسلسل الزمني لسلطين دولة مغول فارس والعراق.

فقد عرف السلطان هولاكو (654 - 663 هـ) مؤسس دولة مغول فارس والعراق، بأنه: "كان يحب العلماء والفضلاء ويحسن إليهم ويجزل صلاتهم، ويشفق على رعيته ويأمر بالإحسان إليهم والتخفيف عنهم ولم يثقل عليهم ولا كلفهم بما جرت به عادة الملوك من التكاليفات والتوزيعات وغير ذلك"⁽²⁾ ومن المؤكد ان الصوفيين من بين تلك الفئات التي نالت رعاية السلطان هولاكو، وهذا ما تؤكد أوامره التي أصدرها الى الأمير قراغا⁽³⁾ التي تقضي بان

¹ ابن الفوطي ، المصدر السابق ، ص ص 383 . 563 .

² - نفسه ، ص 253

³ -أحد قادة العساكر المغولية المصاحب للقائد المغولي هولاكو عند اجتياحه بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ابن الفوطي، مصدر سابق ، ص 253.

يعيد فتح الربط، ويعين فيها الشيوخ ويخصص لهم الأوقاف، ويجري لهم المرتبات الشهرية ، والاهتمام من السلطان هولاءكو نقرأه في فتحه لحلب سنة 656 هـ اذ لم يسلم من المذبحة المغولية الا من لجأ الى بضعة بيوت منها خانقاه زين الدين الصوفي⁽¹⁾ في دلالة على المكانة المحترمة للتصوف ونقرأ اهتمام هولاءكو بالتصوف أيضا في قصيدة الصوفي الذائع الصيت سعدي الشيرازي (690 او 694 هـ) التي مدح فيها السلطان هولاءكو مع ما هو معروف عن سعدي الشيرازي من رفضه للهجمة المغولية على بغداد، واستهجانته لما حل بها من دمار، وتألمه لما لاقاه الخليفة العباسي المستعصم بالله من مصير مفعج ، تجعلنا قصيدة المدح تلك لا نستبعد ان يكون ذلك السلطان قد اعطى التيار الصوفي اهتماما مميزا، ورعاية خاصة فاقت باقي شرائح المجتمع، لاسيما ان سعدي الشيرازي لم يعرف عنه انه رجل مجامل، ولقاؤه بالسلطان اباقا (663 - 681 هـ) يكشف عن خلق ذلك الرجل ، ان ذلك الاهتمام وتلك الرعاية نستشفها أيضا من رواية ينقلها معاصر لأحداث الهجمة المغولية على بغداد الا وهو تاج الدين علي بن انجب بن الساعي البغدادي(ت 674 هـ)، تلك الرواية تحدثنا عن لقاء السلطان هولاءكو وحواره مع جماعة من الصوفية الذين ينتمون الى الطائفة الرفاعية، وفي اللقاء استعرضوا امامه بعضاً من الاعمال الروحانية التي تشتهر بها طائفتهم، من قبيل خفة اليد، ودخولهم النار، وشرهم السموم، وكانت تلك الاعمال طبقا لرواية ابن الساعي مثار اعجاب للسلطان⁽²⁾ ، هذا اذا ما وضعنا في الحسبان ان المغول بطبيعتهم ميالون الى الأمور الروحانية التي تؤمن بالخوارق والكرامات ، ولعل ذلك اللقاء كان له تأثيره في تبني السلطان المغولي سياسة خاصة ورعاية مميزة للتيار الصوفي، وربما كانت انعكاسات ذلك اللقاء على السلطان، هي التي دفعت المصنف ابن الساعي لان يقول ان السلطان هولاءكو اسلم قبل شهرين من وفاته“ ويظهر ان ذلك الميل الروحاني والاعجاب غير المؤلف من جانب السلطان هولاءكو، ومن رعيته المغول تجاه ما شاهدوه من اعمال روحانية قام بها صوفي الطائفة الرفاعية كان لها اثرها في عقلية المقاتل المغولي في التعاطي الايجابي مع التيار الصوفية،

¹ -عماد الدين إسماعيل بن علي أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج3، ط1 ، تق حسين مؤنس ، تح محمد زينهم عزب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1907 ، ص201.

² - مختصر أخبار الخلفاء، ط1، مطبعة بولاق ، مصر 1309 هـ ، ص 128 ، 129 .

لاسيما ان ذلك المقاتل المعروف بشراسته حين يجد سيفه عاجزا عن مواجهة مثل تلك الاعمال الروحانية ⁽¹⁾ ، وذلك التعاطي يؤيده تكريم المغول لشيخ من شيوخ الرفاعية، هو صالح بن عبد الله البطائحي (ت 707 هـ) حين التقوه عند اجتياحهم دمشق سنة 699 هـ في الواقعة المعروفة بوقعة غازان، ونزول احد كبار امرائهم في بيت ذلك الشيخ ⁽²⁾ ، في دلالة على ذلك التعاطي الإيجابي مع التيار الصوفي، وهناك مصنف آخر معاصر ايضا لأحداث الغزو المغولي، هو ابن الفوطي الذي يذكر في معرض ترجمته للشيخ محيي الدين أبي الفقراء محمد بن عبد العزيز السكران بن ابي السعادات بن المعمر الخالصي (ت 667 هـ) انه كان على علاقة بجميع الملوك والسلاطين الذين عاصروهم ⁽³⁾ ، وهذا يعني انه كان يحتفظ بعلاقة حسنة مع السلطان هولاءكو ومع رجال دولته، ونال المكانة نفسها أيام السلطان اباقا الذي خلف هولاءكو ايضا. كما ذكر ابن الفوطي في مصنف آخر له عنوانه "مجمع الآداب في معجم الألقاب" ان الشيخ عز الدين أبا عبد الله محمد بن علي التماجي التركماني الصوفي (ت 674) كان يحظى بعناية صدور بغداد ونواب الوقف وهذا الشيخ كان قد عاصر حكم كل من السلطان هولاءكو وخلفه السلطان اباقا، فمن المؤكد انه حظي بمكانة عالية عند السلطانين ورجال دولتهما ممن عاصروهم. اما السلطان اباقا (663 - 681 هـ) الذي خلف هولاءكو في حكم دولة مغول فارس والعراق فكان لا يقل اهتماما بالتيار الصوفي عن سلفه، اذ ذكر أن الشيخ سعدي الشيرازي احتل مكانة كبيرة لديه، وطبقا للروايات اله التقاه يوما وكان السلطان بمعية الاخوين شمس الدين الجويني (661- 684 هـ) صاحب ديوان الممالك و علاء الدين صاحب ديوان العراق، والشيخ سعدي كان في طريق عودته من الحج متجها الى العاصمة تبريز، وفي اللقاء سأله السلطان اباقا نصيحة فقال له الشيخ سعدي: انك لا تستطيع ان تحمل من الدنيا الى العقبي شيئا سوى اب او العقاب وانت مخير بين الأمرين، فطلب منه السلطان اباقا نظم هذا المعنى شعرا فنظم الشيخ في الحال بيتين: ومعناهما [ان المليك الذي يحافظ على الرعية، ليكن حالالا له ما يأخذه من الخراج، فان لم يكن راعيا لها، فليكن سما زعافا ما

(1) الشيبني، الصلة بين التصوف والتشيع، ط1 ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، 1963 ، ص 76.

(2) العسقلاني ، مصدر سابق ، ص 357-358 .

(3) ابن الفوطي ، مصدر سابق ، ص 93-94.

يأخذه من الجزية المسلمين [فبكى السلطان اباقا حين سمع هذين البيتين، وسأل الشيخ عدة مرات هل انا راع ام لا؟ فرد الشيخ على السلطان إذا كنت راعيا فالبيت الأول، والا فالبيت الآخر¹ ويذهب بعض الباحثين الى ان هذه القصص يبدو عليها أثر الوضع والانتحال، ولا تخلو في وقائعها من المبالغة الظاهرة² لكن سواء أصحت ام لم تصح، فألها لم تغير شيئا من واقع مكانة الشيخ خاصة والتصوف عامة عند السلطان، وفي شاهد آخر يحكي اهتمام السلطان اباقا بالتصوف هو علاقته المميزة بالشيخ كمال الدين أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن محمود المعروف بكلينان الهمداني(ت 678 هـ)، اذ يروى أن السلطان اباقا كان يواظب على حضور الطقوس الصوفية التي يجيها ذلك الشيخ وكان حسن الاعتقاد بما يقوم به ذلك الشيخ من اعمال روحانية، لكن على الرغم من ذلك لم يتمكن الشيخ عبد الرحمن من تغيير المعتقد الوثني للسلطان نحو الإسلام⁽¹⁾، والاهتمام بالتيار الصوفي أيام السلطان اباقا يعكسه أيضا عناية بقية رجالات دولته بالتصوف، مثل الخواجة نصير الدين الطوسي المعروف برعايته للصوفية، ففي العام 672 هـ قام الخواجة نصير الدين الطوسي بجولة تفقدية للصوفية في بغداد واحسن اليهم وخص شيوخهم بالأعطيات³ كما خصص لربطهم عدداً من الأوقاف بغية ضمان معيشة من يسكنها من الصوفية⁴ وكانت تربطه ببعض شيوخهم علاقة حسنة مثل علاقته بالشيخ فخر الدين أبي عبد الله محمد بن الجنيد بن روزبهان بن علي الكتكي الشيرازي (ت 678) شيخ الشيوخ بشيراز الذي لم يقطع عطاياه عنه⁽²⁾، والشيخ المؤتمن أبو الفضل جعفر بن علي بن عبد الكريم البغدادي الصوفي الذي التقاه بمراغة سنة 164 هـ واهداه فرجية⁵ من ملابسه⁶ وامر بان يصرف له من وقف بغداد مئة دينار في كل عام ، وكان للشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد كمال الدين احمد بن محمد بن الأعز البكري (كان حيا في عام 710 هـ) من بين الشيوخ الذين تربطهم علاقة قوية بالخواجة نصير الدين الطوسي ومن يحتل مكانة عليا عنده ، ومن بين رجالات الدولة الآخرين أيام السلطان اباقا الذين كانت رعايتهم مميزة للصوفية صاحب ديوان الممالك شمس الدين محمد الجويني (661- 684 هـ) الذي كانت أبواب بلاطه مفتوحة امام الصوفية، وكان يحتفظ بعلاقة قوية معهم مثل علاقته بالشيخ فخر الدين

¹ - سيرين بياني، المغول، ر سيف علي، ، المركز الاكاديمي ، العراق ، 2010 ، ص371.

² - ابن الفوطي، مصدر سابق ، ص266 . ص140.

أبي نصر احمد بن خليل بن موسى بالصاحب شمس الدين الجويني ، وعلاقته الروحية المميزة بالشيخ سعدي الشيرازي (690 او 694هـ) الذي كان من ابرز الصوفية الذين احتضنهم بلاط الصاحب شمس الدين الجويني ايام السلطان اباقا، وتلك العلاقة الروحية تجاه الشيخ كانت تربط اخاه علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب ديوان العراق بالشيخ سعدي أيضا، ومن شدة تعلقهم بالشيخ انهما كانا يخاطبانه بالأب وكانت عطاياهم مستمرة للشيخ سعدي الشيرازي ، وبالمقابل كان سعدي يمدحهما كثيرا بأشعاره ⁽¹⁾ ، وصاحب ديوان العراق علاء الدين سعدي الشيرازي عطا الله ملك الجويني إضافة الى علاقته المميزة مع الشيخ سعدي الشيرازي كان معروفا عنه بمواصلته لباقي شيوخ الصوفية واتباعهم فكان يزورهم على الدوام في ربطهم ويتفقد احوالهم ويشملهم برعايته واحسانه حيثما حل عليهم ⁽²⁾ ، وكانت تربطه ببعضهم علاقات خاصة مثل علاقة المصاهرة التي تربطه بالشيخ ابراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني (ت722هـ) الذي زوجه بإحدى بناته في العام 671هـ ⁽³⁾ ، وعلاقة الصداقة التي تربطه بالشيخ منتجب الدين أبي الفضل عثمان بن نجيب الخوافي الذي قدم بغداد في عام 679هـ ⁽⁴⁾ ، وعلاقته الروحية بالشيخ كمال الدين أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن محمود المعروف بكلينان الهمداني (ت 678 هـ) شيخ رباط الشونيزية، تلك العلاقة التي يحدثنا عنها ابن الفوطي بقوله: ان الصاحب علاء الدين كان " عظيم الاعتقاد به وكان يخلو به في الرباط ويتكلم معه في الحقائق وغيرها ، وأيضا في نفس السياق نقرأ عن الرعاية المستمرة التي كان يقوم بها صاحب ديوان العراق ناصر الدين قلتغ شاه ⁽⁵⁾ (ت688هـ) للصوفية ، مثل

¹ - مصلح بن عبدالله سعدي ، قسم القصائد الفارسية، كليات سعدي، ص 944-945، ص 954 - 955 ص 967 956، وكذلك انظر قسم القصائد العربية، بشار بن برد ، قصيدة رقم 12، ص1138.

² - ابن الفوطي، ج2، مصدر سابق، ص 257-258 .

³ -صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبدالله الصفدي، - وتركي مصطفى الوافي بالوفيات ، ج2 ، ط1 ، تح أحمد الأرناؤوط ، دار إحياء التراث، بيروت 1420هـ - 2000 ، ص 192 .

⁴ - ابن الفوطي ج5 ، مصدر سابق ، ص512.

⁵ -هو ناصر الدين قلتغ شاه بن سنجر بن عبدالله يعرف بالصاحبي نسبة إلى صاحب ديوان العراق علاء الدين الجويني، تولى ناصر الدين عدة مناصب في الدولة منها. أنه كان صدرا للأعمال الواسطية والبصرية للمدة 676-677هـ ، ثم كلف بإدارة

رعايته لصوفي الرباط الذي شيده عام 680 هـ في مشهد الصحابي سلمان الفارسي ، ورعايته للصوفية الذين كانوا يسكنون في الرباط الذي شيده في البصرة ابان ولايته عليها. وعشقه الكبير للصوفية تعكسه وصيته التي نصت على ان يورى جثمانه بعد وفاته في تربة رباط صوفي، فعلى اثرها دفن جثمانه في الرباط الذي شيده في مشهد الصحابي سلمان الفارسي ، ويحدثنا ابن الفوطي عن علاقات آخرين من رجالات الدولة أيام السلطان اباقا بشيوخ التصوف من دون ان يعطينا تفاصيل عن تلك العلاقات، كما انه لم يسم رجالات السلطة الذين كانت تربطهم بشيوخ التصوف مثل تلك العلاقات، على سبيل المثال علاقتهم بالشيخ عزيز الدين أبي علي حسين بن ابي المعالي محمد بن ابي منصور احمد البغدادي (كان حيا عام 667 هـ) ، وعلاقتهم بالشيخ فخر الدين أبي محمد عبد الله بن جامع بن ابي احمد النطالي (كان حيا عام 671 هـ) .

ولم يقتصر الاهتمام بالصوفية أيام السلطان اباقا على رجالات الدولة فحسب بل تعداه الى خواتينهم أيضا، وهذا ما نستشفه من علاقة اولجاي خاتون بالشيخ عماد الدين أبي محمد الحسن بن محمد الابجري شيخ رباط الاخلاطية المشهور بالزمهرير الذي نال بوساطتها مشيخة رباط الاخلاطية عام 672 هـ ⁽¹⁾ ، ولعل هناك خواتين أخريات كان لهن اهتمامهن ورعايتهن للتيار الصوفي لكن تركيز المصنفات التاريخية على أمور دون أخرى كما اوضحنا في مقدمة بحثنا حال من دون وصول مزيد من الشواهد التاريخية الينا في هذا السياق. اما عن عهد السلطان تكودا بن هولاكو (681 - 683 هـ) ثالث سلاطين دولة مغول فارس والعراق فقد عرف عنه انه كان يحتفظ منذ صباه بعلاقات وطيدة مع علماء المسلمين، تلك العلاقات التي تطورت الى اعلان تكودا بعد تسلمه الحكم اسلامه وتسميه بأحمد وبذلك كان اول سلطان مغولي يعتنق الإسلام ⁽²⁾ ، وقد حاول ان يحث كافة رعاياه من المغول على اعتناق الدين الإسلامي، وعلى

أعمال إدارية أخرى في العراق، وبعدها في العام 687 هـ صاخر صاحب ديوان العراق لمدة عام واحد وعزل في نهاية العام 687 هـ، أثر اتهامه باختلاس أموال الدولة، وفي بداية العام 688 هـ، صدر أمر من صاحب ديوان الممالك سعد الدولة مسعود اليهودي يقضي بقتله وتم ذلك الأمر في تبريز إلا أن جثمانه نقل إلى بغداد في رباط كان قد شيده بجوار قبر الصحابي سليمان الفارسي، انظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص: 264 ، هامش 2، 278، 314.

¹ - ابن الفوطي، ج2، مصدر سابق، ص 56، 136 .

² - فؤاد عبدالمعطي الصياد، مرجع سابق ص121.

الرغم من تمكنه من كسب عدد ليس بالقليل منهم، إلا أنه لم يفلح في تغيير معتقد الجميع نحو الإسلام، بل جوبه بمقاومة قوية من القسم الأكبر من المتشددین من المغول الذين تعالت صيحاتهم ضده ثم تطورت الى الثورة التي انتهت بمقتله الذي كان ثمناً لإعلان اسلامه⁽¹⁾ على اية حال، يبدو ان تحول السلطان الى الإسلام كان له تأثيره في التقرب من اتباع الدين الإسلامي، ولما كان هذا التحول جاء عبر شيخ صوفي هو كمال الدين عبد الرحمن ' كان حتما ان ينعكس ذلك إيجابا على التيار الصوفي واتباعه، وهذا ما تكشفه علاقته الحميمة بذلك الشيخ الصوفي، الذي كان يتعامل معه بصفة والده واذا ناداه كان يقول له: يا ابي رافضا مناداته بغيرها من الصفات والالقاب ، ويقال ان هذا الشيخ هو الذي تنبأ لتكودار الصبي بالحكم، وحين صار سلطانا احس بدين في عنقه تجاه التيار الصوفي من جهة ،وتجاه ذلك الشيخ من جهة أخرى، فرد الجميل للطرفين، اذ جعل من الشيخ كمال الدين عبد الرحمن من كبار مستشاريه⁽²⁾ ، ومن الذين يعول عليهم كثيرا، هذا فيما يخص الشيخ كمال الدين، اما ما يتعلق باتباع التيار الصوفي فقد عج بلاطه بهم، ومنهم طبقا للأخبار الواصلة الشيخان زاهد الجيلاني وابنه جمال الدين علي اللذان كما يظهر كانت لهما مكانة عالية عند السلطان الى الحد الذي اثارت حسد آخرين يقودهم صوفي آخر هو حسن منغولي الذي حاول ان يوغر قلب السلطان ضدهما، لكن الأخبار التي وصلت عنه تؤكد انه لم يفلح في مسعاه⁽³⁾. وفي الوقت نفسه ان ما كان يقوم به السلطان تكودار تجاه التيار الصوفي هو جزء من سياسة اسلافه فيما يخص المعاملة الحسنة مع التيار الصوفي التي كان حريصا على ديمومتها والحفاظ عليها. على اية حال، ان المعطيات أعلاه تدلل على المكانة العالية للتيار الصوفي عند المؤسسة السياسية الممثلة بالسلطان تكودار ورجال دولته. اما ما يتعلق بعهد السلطان ارغون(683 - 690هـ) خلف السلطان المسلم احمد تكودار، فلا يمكن عد ما شهدته عهده من سياسة تعسفية تجاه عموم

¹ - بارتولد شبولر، المغول في التاريخ، ط1 ،تع يوسف شلب ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ، 1981، ص 76-77.

² - رشيد الدين فضل الله، ج2، مرجع السابق ، ص101 97 .

³ - جورج لاین، عصر المغول، ط1 ، تر تغريد الغضبان ، هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة ، ابوظبي، 1433 هـ - 2012 م ، ص266.

المسلمين تغييراً في مسار المؤسسة السياسية المغولية تجاه التيار الصوفي؛ لان ما جرى من اعمال عنف ضد المسلمين أيام السلطان ارغون، كان وراءها في الحقيقة صاحب ديوان الممالك سعد الدولة (688 - 690هـ) المعروف بتعصبه لليهودية وبغضه للمسلمين، ولم تقع مسؤوليتها على عاتق السلطان نفسه وحالة الغضب التي انطلقت من جانب الامراء المغول تجاه الصاحب سعد الدولة وما آل اليه امره بالقتل فيما بعد¹ تؤيد ان الموقف السياسي أيام السلطان ارغون عموماً تجاه التيار الصوفي لم يتغير ولم يتصدع، هذا اذا ما وضعنا بالحسبان ولع السلطان ارغون بالأمور الروحانية، تلك التي يشتهر بها شيوخ الصوفية⁽¹⁾، الامر الذي يحتم منحهم نوعاً من الخصوصية، وهذا ما يجعلنا نستبعد ان تكون الإجراءات التعسفية قد نالت اتباع التيار الصوفي من المسلمين في عهد ذلك السلطان، وان غابت الشواهد التاريخية، لكن بالمقابل لم نظفر بشواهد تاريخية مناقضة في ضوء المصادر والمراجع المتوافرة تمثل حالات اضطهاد ضد شيوخ التيار الصوفي واتباعه، ثم اننا لم نجد استمراراً لتلك السياسة عند خلفه السلطان كيخاتو، ويبدو ان ما قامت به ابنة السلطان ارغون اولجاي خاتون من اظهار قبر ابيها — الذي كان في مكان سري بحسب العادة المغولية في الدفن — بعد حين وتشيد قبة عليه، وبناء رباطين للصوفيين بجواره فيه دلالة على براءة والدها من تلك السياسة التي انتهجها وزيره سعد الدولة ضد المسلمين، وتعطي دلالة أخرى في نفس الوقت أيضاً على ان السلطان ارغون كان قريباً من الصوفيين⁽²⁾. وان ما يؤكد ان مكانة التيار الصوفي بقيت تحتفظ بأهميتها عند السلطان ارغون هو: ان شمس الدين محمد الجويني الذي تولى مهمة إدارة ديوان الممالك من العام 661 هـ حتى العام 684 هـ ومدة توليه كانت تشمل عامين من حكم السلطان ارغون، عرف عنه ان بلاطه كان مفتوحاً امام الصوفية⁽³⁾، ولم نقرأ عن ان الشاعر الصوفي الشهير سعدي الشيرازي (ت 690 او 694 هـ) الذي عاصر حكم السلطان ارغون انه تعرض للأذى او انه انتقد حكم السلطان ارغون، ثم ان المصنف ابن الفوطي المعاصر للسلطان ارغون يحدثنا عن الشيخ عفيف الدين أبي المعالي محمد بن حسان الغطاوي الحلي، انه

¹ - الصياد، مرجع سابق، ص188

² - ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ط1، ترفرنسيس، الرابطة، بغداد، 1373هـ - 1954، ص258

³ - ابن الفوطي ج2، مصدر سابق، ص534

كان يحتفظ بعلاقة حسنة بعدد من رجالات الدولة في أيام ذلك . وكل تلك الأدلة تؤكد ان التيار الصوفي لم يتعرض اتباعه لاضطهاد أيام السلطان ارغون. السلطان

اما السلطان كيخاتو (690 – 694 هـ) خامس حكام دولة مغول فارس والعراق، فيخبرنا عنه معين الدين نظري (ق 9 هـ) بأنه كان يحتفظ بعلاقات حسنة مع الصوفيين وكان يقضي معهم اوقاتا نافعة متحدثا اليهم ومستمعا لنصحهم، وكان الشيخ مدكويه قزويني (ت 690 هـ) من بين رجالات الصوفية المقربين منه والمبجلين لديه ، كما عرف عن السلطان كيخاتو أيضا انه كان يخص شيوخ الصوفية بالهدايا والهبات ويحسن الى مريديهم بالعطايا⁽¹⁾، وكل ذلك فيه دلالات كبيرة على علو شأن التيار الصوفي أيامه. اما السلطان بايدو (694 هـ) خلف السلطان كيخاتو، فقد مد سور مودة مع جميع القوى الدينية في مجتمع دولته، وبمسافات متقاربة⁽²⁾ . وفي ظل غياب الشواهد التاريخية عن الحالة التي كان يعيشها التيار الصوفي واتباعه أيام السلطان بايدو، وعلى وفق تلك السياسة التي كان ينتهجها ذلك السلطان مع القوى الدينية في المجتمع، يجعلنا نقول على الرغم من قصر مدة حكمه، ان المكانة التي كان يحظى بها التيار الصوفي محترمة، وهي لا تختلف عن المكانة العالية أيام اسلافه من سلاطين الدولة، لاسيما ان حكمه يمثل استمرارا لحكم سلفه السلطان كيخاتو الذي كان معروفا عنه انه يحتفظ بعلاقة حسنة مع اتباع التيار الصوفي، وبوفاة السلطان بايدو انتهت مرحلة حكم السلاطين الوثنيين لتبدأ مرحلة جديدة في حياة دولة مغول فارس والعراق، وهذه المرحلة تبدأ بحكم السلطان محمود غازان (694 – 703 هـ) وتنتهي بانتهاء حكم تلك الدولة في سنة 738 هـ. وأهم ما يميز هذه المرحلة تطوران مهمان وكلاهما حدث أيام السلطان غازان : هما استقلال ايلخانية مغول فارس والعراق عن الإمبراطورية العظمى الكائن مقرها في الصين وعاصمتها خان بالغ البديلة للعاصمة القديمة قراقورم، والتطور الآخر هو اعلان الدين الإسلامي دينا رسميا للدولة، والاستقلال وتبني الدين الإسلامي استمرا في ذلك الجزء المنفصل عن الإمبراطورية المغولية العظمى حتى انهيار تلك السلطنة المستقلة. ومن الطبيعي ان يكون تبني الدين الإسلامي في السلطنة الجديدة له

¹ -، معين الدين نظري ، منتخب التواريخ معيني، ط1، انتشار الاساطير ، ايران ، 1383 هـ -2004 م ، ص102.

² - ابن العربي، مصدر السابق ، ص376

تأثيره في اتباعه عامة، والصوفية خاصة بوصف الصوفية شريحة إسلامية مهمة في المجتمع، هذا إذا ما وضعنا في الاعتبار ان في المرحلة السابقة كانت السياسة العامة للدولة فيها اصلاً إيجابية مع التصوف، على الرغم من العقيدة الوثنية لسلطين تلك المرحلة. على العموم ان هذه التطورات الجديدة، التي شهدتها دولة مغول فارس والعراق كانت لها آثارها الموجبة على التيار الصوفي، اذ ازداد اهتمام المؤسسة السياسية به، وصارت مكانته عالية، ومن غير منازع فاقت مرحلة حكم السلطين غير المسلمين.

كما ذكرنا انفا بدأ حكم السلطان غازان المرحلة الجديدة، وقد شهد عهده اهتماماً ملحوظاً بالتيار الصوفي واتباعه، فقد امر بالمرتبات والمناصب للمتصوفة منذ الأيام الأولى لتسليمه الحكم، بحسب ما يخبرنا به رشيد الدين فضل الله وزير السلطان غازان والمدون لسيرته وعمله¹، واشيع عنه انه كان يبذل أقصى الجهود من اجل راحة الصوفية وتأمين ارزاقهم واحتياجاتهم الخاصة واحتياجات ربطهم وما تتطلبه احتفالاتهم الدينية من دعم مالي ومعنوي وهذا ليس مستغرباً من السلطان غازان اذا ما وضعنا في الاعتبار ان اسلامه كان على يد شيخ صوفي هو صدر الدين إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الخراساني الجويني، وفي السياق نفسه يخبرنا صاحب الحوادث الجامعة عن ذلك الاهتمام الذي يكنه السلطان غازان للصوفية، اذ يذكر ان السلطان في زيارته للعراق في الحرم من عام 696 هـ قرر ان يقضي احدى ليلاته في دار الصوفي شيخ الشيوخ نظام الدين محمود اجلالا له وتبركا به⁽²⁾، وان تلك الواقعة فيها دلالة كبيرة على المكانة العالية للتصوف واتباعه، ويبدو ان تلك المكانة التي كان يتمتع بها ذلك الشيخ هي التي دفعت السلطان غازان الى ان يجعل منه احد كبار مستشاريه، بل كان من ابرز رجالات البلاط الذين يستمع الى نصائحهم بحسب ما يخبرنا به رشيد الدين فضل الله وزير السلطان غازان، بل يعد رشيد الدين فضل الله الشيخ نظام الدين محموداً من اقرب رجالات البلاط البارزين للسلطان، والتقدير العالي لذلك الشيخ ندركه أيضاً بقبول السلطان غازان بوساطة زوجه بلوغان خاتون حين طالبته بأطلاق سراحه ابان اعتقاله سنة 701 هـ بتهمة التآمر ضد السلطان ، على الرغم مما عرف عن السلطان غازان انه لا

¹ -الهمذاني ، مقامات بديع الزمان ، ط1 ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، 1426هـ/2005م، ص254.

² - ابن الفوطي، مصدر سابق ، ص333.

يعرف الرحمة ولا الشفقة ، مع خصومه ومع كل من يشك في تأمره كائناً من كان ⁽¹⁾ ، ناهيك عما عرف عن المغول عامة ان السلطة والمال في حساباتهم رقمان صعبان لا يسمح بالتعدي عليهما ، وفي السياق نفسه نقرأ ايضاً عن قرب الشيخ فخر الدين أبي محمد احمد بن نصر بن محمد بن خلف الاصبهاني الصوفي (ت 707هـ) من السلطان غازان ورجالات دولته والاهتمام بالصوفية أيام السلطان غازان شركن به خواتين القصر أيضاً، فهذا ابن الفوطي يحدثنا عن الشيخ عز الدين أبي الفضل الحسن بن الحسين بن يوسف (642-710هـ) الذي كان يحظى برعاية الخاتون بلغان زوج السلطان محمود غازان ، ويذكر عنها انها كانت دائمة الاحسان للصوفية حتى بعد وفاة زوجها السلطان محمود غازان، ففي زيارتها لقبر زوجها غازان خان الكائن في مدينة تبريز كانت تحسن وتتصدق كثيراً على الصوفية الساكنين قرب ذلك القبر، واعمال الخير والبر التي كانت تتصدق بها الخاتون على روح زوجها بقيت مستمرة حتى بعد وفاتها، اذ اضطلع بها افراد آخريين من عائلة السلطان غازان، وهذا ما اخبرنا به الرحالة ابن بطوطة الذي كان شاهد عيان على اعمال الخير والبر تلك عند زيارته مدينة تبريز حيث قبر السلطان غازان ⁽²⁾ .

خلاصة الفصل :

نستنتج أن التصوف إذن ظاهرة روحية ، فهو أوام وقيل كل شيء إثمار لرسالة النبي صلى اهلل عليه وسلم وجهد مستمر لعيش أنماط الوحي القرآني عيشاً شخصياً عن طريق الاستبطان ، فالمعراج النبوي الذي تعرف به الرسول صلى اهلل عليه وسلم على أسرار الغيوب الإلهية)، ظل النموذج الأول الذي حاول بلوغه جميع المتصوفة واحد تلوى واحد فالتصوف شهادة التنكر اعتراض ساطع من السالم الروحاني ضد كل نزعة حاولت حصر الإسلام بالشرعية وظاهر النص بل بالعكس فقد كان من المتصوفة المسلمين كباراً ممن أعطوا مكانة ودفعة جديدة للتصوف، وذلك بابتكار طرق مغايرة لما عرف سابقاً.

¹ - شبولر، بارتولد، مرجع سابق ، ص97

² - ابن بطوطة، ج2، مصدر سابق ، ص76



الفصل الثالث:

الصوفية ودورها في انتشار الاسلام

بين المغول.

المبحث الاول: النظرة القدسية لشيوخ التصوف عند المغول.

المبحث الثاني: العلاقة بين الطرق الصوفية وانتشار الاسلام بين المغول.

المبحث الثالث: ممارسة بعض سلاطين المغول وامرائهم جوانب من الحياة الصوفية.

تمهيد :

عرفت العقلية الإسلامية في تاريخها الطويل شخصيات لامعة تركت للتراث الإنساني آثار قيمة ومناهج قوية، وآراء ثابتة يزداد نورها ويشع بريقها كلما مرت الأيام وتقادمت العصور، من نوابغ الفكر الإسلامي الصوفي الشعلة الإشرافية العرفانية التي أنارت الفكر الإسلامية وبرزت في مجال التصوف إلا أنها أخمدت بسرعة بفعل التأمر عليها والتعصب الديني، وهذا لم يقلل من أثره البالغ الذي لا يزال صدها في قلوب عارفيه حتى هذا اليوم، لكنه سيبقى كظل نوراني يمتد فيه ليرسم صورة حقيقية لأسمى معاني التصوف في ثوب المعرفة الإشرافية .

أولاً: النظرة القدسية لشيوخ التصوف عند المغول.

النظرة القدسية لشيوخ التصوف. ومن الأدلة التي ارصدها البحث، والتي تؤكد على المكانة العالية التي كان يحظى بها التيار الصوفي في مجتمع دولة مغول فارس والعراق هي النظرة القدسية التي كان يوجهها السلاطين لشيوخ التصوف، وقناعات البعض منهم بما يصدر عن أولئك الشيوخ من كرامات، وتلك النظرة تجسدت بزياراتهم لمراقدة شيوخ التصوف، ومنها كانوا يتهلون الى الله بالدعاء، ومواظبتهم على مواصلة الأحياء منهم طلباً للتبرك والشفاعة. ومن الجدير بالإشارة ان تلك النظرة القدسية تجاه شيوخ التصوف لم تقتصر على السلاطين والأمراء ومن يمثل المؤسسة السياسية فحسب بل اشترك فيها العامة ايضاً⁽¹⁾ ، لذلك ليس من الغرابة حين نقرأ أن سلاطين دولة مغول فارس والعراق، كانوا يحثون امام شيوخ الصوفية، ويقبلون أيديهم، ويذرفون الدمع امامهم إذا عاتبوهم، وكان سلاطنتهم وأميرهم يتباهى حين يعطف ويرأف بالصوفية⁽²⁾ ، ومثل هذا الموقف سبق ان مر بنا وقد صدر من السلطان اباقا، وقد تجسد في تعامله المهيب للشيخ سعدي الشيرازي حين التقاه وهو في طريق عودته من الحج، وبهذا الخصوص أيضاً ينقل لنا رشيد الدين فضل الله عن السلطان غازان انه كان يبذل النذور لشيوخ

¹ ابن بطوطة، مصدر السابق ، ص 31 .

² سيرين بياني، مرجع سابق ، ص 382 .

التصوف، وكان في زيارة دائمة لمراقدهم حيث كان يبتهل منها الى الله⁽¹⁾، كما كان على تواصل دائم أيضا لمقرات الاحياء منهم بحسب ما يخبرنا وزيره رشيد الدين فضل الله الذي ذكر في مصنفه جامع التواريخ القسم الخاص بالسلطان غازان ان السلطان كان يزور الشيخ ابراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني (ت722هـ) في مقره، وقد ارجح واحدة من تلك الزيارات في مصنفه المذكور آنفا وكانت في يوم الخميس الموافق السابع من جمادى الآخرة من العام 695هـ. وكان السلطان اولجايتو معروفا بكثرة زيارته للشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالخليلي الفيني (من رجال القرن الثامن الهجري)⁽²⁾، وفي سياق الموضوع يخبرنا شاهد العيان ابن الفوطي عن الشيخ عز الدين أبي الفضل الحسن بن الحسين بن يوسف (642-710هـ) اذ يقول: كانت له زاوية بتبريز يقصده فيها الاكابر والملوك والسلاطين والفقراء والعارفون، وينقل لنا ايضا في ترجمته للشيخ محيي الدين أبي الفقراء محمد بن عبد العزيز السكران بن ابي السعادات بن المعمر الخالصي (ت667هـ) ان قبره الكائن في زاويته بالمباركة احدى نواحي الخالص كان مزارا يقصده الناس، ومن غير المستبعد كان السلاطين والامراء ومن على شاكلتهم يزورونه أيضا. وفي نفس سياق الموضوع، ينقل لنا ابن بطوطة بعض مشاهداته التي دونها في رحلته المعروفة، اذ يقول: رأيت الناس في شيراز يزرون قبر الامام القطب الولي أبي عبد الله محمد بن خفيف (ت273هـ) المعروف عندهم بالشيخ وقد نقل لنا انطباعه عن مكانة ذلك الشيخ بقوله "هو قدوة بلاد فارس كلها، ومشهده معظم عندهم يأتون اليه بكرة وعشيا فيتمسحون به، وقد رأيت القاضي مجد الدين أتاه زائرا واستلمه، وتأتي الخاتون إلى هذا المسجد في كل ليلة جمعة" كما شاهد في شيراز أيضا الناس وهم يتوافدون على قبر الشيخ ابي اسحاق الكازروني الواقع في كازرون وهي مدينة على مسيرة يومين من مركز شيراز وقال ابن بطوطة ان الشيخ الكازروني كانت تقدم له النذور، واثناء تواجده في بلاد فارس دون ابن بطوطة في رحلته

¹ الهمداني، مصدر سابق، ص254، 644.

² ابن الفوطي، مصدر السابق، ص270.

الشهيرة مشاهداته لزيارات العامة والخاصة لقبري الصوفيين الشهيرين الشيخ سعدي الشيرازي والشيخ شمس الدين السمناني ، وابن مدة وجوده في بلاد فارس أيضا وتحديدًا في أصفهان نقل لنا ابن بطوطة مشاهداته للناس وهم يزورون زاوية تنسب للشيخ على ابن سهل احد تلامذة الشيخ الصوفي الشهير الجنيد البغدادي (ت 297هـ) وذكر انهم يعظمونها كثيرا ويتبركون بها ، وبشأن القدسية التي كان يحظى بها شيوخ التصوف ينقل لنا ابن بطوطة أيضا بعض مشاهداته في بغداد اذ يقول: ان اهل بغداد وهم يؤدون مراسيم الزيارة لعدد من مراقد شيوخ الصوفية كانوا يخصصون كل جمعة في اسبوع لشيخ من شيوخ التصوف .

ومما يؤشر مكانة التصوف عند المؤسسة السياسية لدولة مغول فارس والعراق أيضا حضور السلاطين والامراء وخواتيمهم للطقوس الصوفية، ومشاركتهم فيها، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لها، والمصادر المتوافرة اتفقتا بشواهد على ذلك، منها ان السلطان هولاكو كان يحضر تلك الطقوس وكان معجبا بها مثل حضوره طقوس كان يحييها صوفيو الطريقة الرفاعية¹، وكانت الخواتين يقمن مجالس ذكر ووعظ في كل ليلة جمعة في المراقد والزوايا الصوفية، وبحضور شخصيات سياسية ودينية، وفي تلك المجالس يقوم شيوخ التصوف بقراءة القرآن وقراءة الادعية والاذكار ووعظ الحاضرين، وتتولى الخاتون الانفاق على تلك المجالس للتقرب الى الله وكسب الثواب . ومن المؤكد كان لبقية سلاطين وامراء المغول مثل تلك المشاركات وان لم يرد ذكرها في المصادر المتوافرة، فالاهتمام والدعم المادي والمعنوي الذي كان يقدمه أولئك السلاطين للصوفية لا يستبعد هذا الاحتمال، لاسيما عند كل من السلطان غازان الذي صار الإسلام في عهده الدين الرسمي للدولة، وأخيه اولجايتو الذي حظي الصوفية ايامه باهتمام كبير والسلطان بوسعيد ابن السلطان اولجايتو الذي تزايد في وقته اعداد الصوفية⁽²⁾ ونظرا لما يتمتع به شيوخ الصوفية من مكانة مقدسة عند الخاصة والعامة، فقد كان السلاطين والامراء يدعونهم

¹ - ابن الساعي ، مختصر أخبار الخلفاء، ط1، مطبعة بولاق ، مصر 1309 هـ 2017 م ، ص129.

² - ابن بطوطة، مصدر سابق ، ج2، ص47.

للحضور في مناسباتهم الاجتماعية للتباهي والتبرك بحضورهم، مثلاً كان لمشايخ الصوفية حضورهم البارز في حفل زفاف شرف الدين هارون بن صاحب شمس الدين محمد بن الجويني صاحب ديوان الممالك على ابنة ابي العباس احمد بن الخليفة المستعصم⁽¹⁾، وعلى الرغم من عدم توافر الأمثلة الكثيرة حول هذا الموضوع، إلا أنه لا يعني عدم حدوثها أو ندرتها؛ لأن مكانة شيوخ الصوفية عند السلاطين والأمراء تجعلنا لا نستبعد حدوث مثل تلك الدعوات التي كان يوجهها السلاطين ورجال الدولة من أمراء وموظفين لشيوخ الصوفية.

ثانياً: العلاقة بين الطرق الصوفية وانتشار الإسلام بين المغول:

أما عن الطرق الصوفية ودورها في نشر الإسلام بين المغول، فقد كان لهم دور بارز في هذا المضمار؛ حيث خاطب العلماء والفقهاء الطبقة العليا والمتقنين وبدأ الصوفيون يتجهون نحو عامة المجتمع المغولي وإن كان لهم تأثير على القوم أيضاً⁽²⁾. وشكل التصوف تياراً رئيسياً من تيارات الفكر الإسلامي وأثر في المجتمعات الإسلامية وغيرها من المجتمعات الأخرى تأثيرات تنوعت بين السلبية والإيجابية⁽³⁾، ونمت كثير من الطرق الصوفية وانتشرت في كافة أنحاء العالم الإسلامي وخاصة منذ أن أصيب هذا العالم بالغزو الصليبي أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وأصيب أيضاً باستبداد حكامه وظلمهم للبرية ثم أصيب أخيراً بكارثة الكوارث وهي سقوط الخلافة العباسية في بغداد على أيدي المغول عام 656 هـ/ 1258م وما صاحب ذلك من قتل مئات الألوف من المسلمين، ومن تخريب العديد من المدن والأقاليم، وفي أثناء هذه الظروف السيئة التي أحاطت بالعالم الإسلامي من الداخل والخارج لجأ الكثير من المسلمين إلى التصوف يلوذون به كأسلوب من أساليب المقاومة السلبية، ثم تحول هذا الدور السلبي إلى دور إيجابي مشهود حينما حمل كثير من الصوفيين السلاح لمقاومة المغول بقدر ما يستطيعون،

¹ - ابن الفوطي، مصدر سابق، ص 262.

² - هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2004م، ص 99.

³ - عبد القادر طليمات، مظفر الدين كوكبوري، ط 1، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة، 2017، ص 69.

وبعد أن أخضع المغول بلاد الإسلام في المشرق لنفوذهم وحكمهم بذل الصوفيون جهوداً جبارة لتحويل هؤلاء الغزاة المدمرين الوثنيين إلى الإسلام⁽¹⁾.

وكانت هناك عدة عوامل أدت إلى انتشار الصوفية وتأثر المغول بها ومن أبرز هذه العوامل احترام المغول للصوفيين وعدم التعرض لهم بأي أذى فقد أمنوهم على أموالهم وأرواحهم مما جعل بعض الناس يهربون من أذى المغول عن طريق لبس خرقة التصوف مثلما فعل الشاعر كمال الدين إسماعيل الذي تشبه بالصوفيين وأقام في زاوية خارج مدينة أصفهان عندما أغار المغول عليها عام 635هـ/1237م، وعندما اكتشف المغول أمره أخذوا أمواله وعذبوه حتى الموت، أيضاً لجأ البعض إلى إيداع أمواله وكل ما يخاف عليه عند الصوفيين حتى تبتعد عنها أيدي المغول.

وقد ظهر التأثير بالصوفية أيضاً بسبب أخلاقيات الصوفيين وتعاملهم اللين السمع مع سكان بلادهم، هذا بجانب احترام وتوقير الحكام والأمراء لهؤلاء المتصوفة، وحاجة البعض إلى الشعور بالأمان والطمأنينة والسكينة هرباً من الصراعات والحروب والفتن التي كانت منتشرة آنذاك، هذا بجانب ظهور بعض الطرق التي اتخذت العقيدة الباطنية أساساً لها وكانت تميل إلى الهرطقة إلا أنها كانت أقرب إلى أذهان أصحاب العقائد القديمة⁽²⁾ لذا أضحى لهؤلاء الأولياء والمتصوفين أثر كبير على المغول وخاناتهم منذ حكمهم لتلك البلاد وانتشرت الزوايا والخانقاوات⁽³⁾ في مناطق جديدة بإيران التي تقوم بنشر الدعوة الصوفية وانقطع للعبادة فيها الصالحون والصوفيون وظهرت قبور نسبت لأولياء الله الصالحين أو لأحد الصحابة الذين قدموا إلى هذه البلاد مع الفتوحات الإسلامية⁽⁴⁾ ومن أشهر الطرق

1 - رجب عبدالحليم: مرجع سابق، ص 84-85.

2 - هدى درويش: مرجع سابق، ص 97-98.

3 - الخانقاوات: تجمع أيضاً الخوانق ومفردتها خانقاه، وهي بيت ينقطع فيه الصوفية للعبادة والذكر، أما الزوايا ومفردتها زاوية، وهي اسم أطلق قديماً على كل مسجد صغير فيه أحد الرجال المعروفين بالتقوى والزهد ويقوم بوعظ وإرشاد من يتردد على زاويته من الناس وقد تطور معنى الزاوية في أواخر العصور الوسطى فأصبح يقصد به الخانقاه أو منزل الصوفية، راجع: سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المالكي في مصر والشام، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965م، ص: 421-422.

4 - ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص 258-259.

(1) الصوفية التي كان لها دور كبير في هذا المضمار طريقة الخوجان التي أسسها يوسف همذاني ت (535هـ/1140م) والتي انتشرت في خراسان، والطريقة الكبروية التي أسسها نجم الدين الكبروي (ت 618هـ/1221م) والتي كان لها نفوذ كبير في منطقة بخارى والطريقة القادرية التي أسسها عبدالقادر الجيلاني (ت 562هـ/1166م) في بغداد، والطريقة الرفاعية التي أسسها أحمد الرفاعي (ت 579هـ/1183م) في البصرة، والطريقة السهروردية التي أسسها في بغداد عبدالقادر السهروردي 563هـ/1167م) والتي انتشرت في شرق إيران وأفغانستان وبلاد السند وغيرها من الطرق الأخرى (2).

ويروى المؤرخ السكندري محمد بن قاسم النويري قصة وإن كانت تبدو خيالية إلا أنها تعطينا فكرة عن مدى نشاط الطرق الصوفية ولا سيما الأحمدية الرفاعية في انتشار الإسلام بين المغول فيقول: "بينما كان السلطان المغولي منكوتر (ابن هولاكو) ببغداد في دار المستنصر وهي راكبة على الدجلة وكانت بغداد دار ملكه بعد الخلفاء فبينما هو جال في يوم شات وبين يديه نار مؤججة يستوى عليها الأوز، وإذ بالشيخ محمد بن الشيخ أحمد الرفاعي دخل عليه بطائفة من الفقراء الأحمدية الرفاعية فلما رآهم السلطان منكوتر قال لهم: ما برهانكم أيها الفقراء وما سركم؟ فقال الشيخ محمد: إن كان برهاننا حقاً تؤمن بالله ورسوله؟ قال نعم، وكان للسلطان ولد صغير كالقمر حسناً وجمالاً جالساً بين يديه وكان مشغولاً بمحبته لحسن طبعته، فاخطفه الشيخ محمد بسرعة واقتحم به تلك النار فطار عقل السلطان، وقام قائماً، وضرب بتاجه الأرض، وصرخ جزعاً على ولده، وقال لخواصه: أدركوه، فلم يستطيع أحد منهم أن يدخل النار، فدار الشيخ محمد بالولد فيها دوراناً كثيراً، وخرج بالصغير منها سالماً وثيابهما سالمة فتلقى السلطان ولده منه بلهف

1 - الطرق الصوفية: كانت الطرق الصوفية كثيرة وتنوعت في أسمائها نسبة إلى أصحابها وظهرت لها بعض الأفكار والتعاليم لمزيد من التفاصيل عنها راجع: بطروشوفسكي: الإسلام في إيران، ترجمة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1982.

2 - رجب محمد عبدالحليم، مرجع سابق، ص 86.

وقال: ما رأيت يا ولدي وأنت في النار؟ قال: لم أر شراً، فحينئذ أسلم السلطان ومن حضره من خواصه ومماليكه وجنده"⁽¹⁾.

ومن المعروف تاريخياً أن منكوتمر بن هولاكو كان أماً للإيلخان المغولي آباخان وأنه هو الذي تولى قيادة الجيوش التي حاربت قلاوون في موقعة حمص عام 680هـ/1281م وهُزمت فيها هزيمة فادحة وعاد منكوتمر حزيناً جريحاً إلى أخيه آباخان الذي لأمه على ذلك ثم مات بعدها كمداً عام 681هـ/1282م وخلفه أخوه تكودار أحمد الذي اعتنق الإسلام، فلا نعرف هل هذه الزاوية تنطبق على منكوتمر حين كان قائداً لأخيه آباخان أم تنطبق على أخيه تكودار أحمد الذي ولى بعده وكان مسلماً؟! على أية حال هذا النص يبين انتشار الإسلام بين المغول رغم الجهود التي كانت تبذلها البابوية في روما، وكذلك ملك فرنسا لويس التاسع الذي اتفق مع المغول عام 647هـ/1249م ضد مماليك مصر على أمل تحويلهم إلى المسيحية والاستفادة من جهودهم في تطويق العالم الإسلامي في الشرق الأدنى، وعلى الرغم من فشل هذه الخطة إلا أن عدداً من المغول قد اعتنق المسيحية مثل دوقوز خاتون زوجة هولاكو وكذلك كتبغا نوين قائد المغول في عين جالوت، وعلى الرغم من كل ذلك فقد انتشر الإسلام بين المغول.

واجتهد مشايخ الطريقة الكبراوية والطريقة السهروردية في نشر الإسلام بين المغول وكرسوا حياتهم للوعظ والإرشاد وتلقين مبادئ الإسلام لهؤلاء الغزاة المتوحشين وقد دخل تكودار أحمد الإسلام بتأثير من مشايخ الطريقة الأحمدية الرفاعية الصوفية، وكذلك السلطان خدابنده بن أرغون بن آباخان فقد أثر عليه فقيه صوفي وجعله يعلن إسلامه ومما يدل على عظم نفوذ الصوفيين إبان عهد الدولة المغولية أن الأمير جوبان الذي انفرد بالسلطة في عهد السلطان أبي سعيد (716-736هـ/1316-1335م) صار من أعظم وأخلص المريدين للشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي، مما جعل أكثر أعيان وزعماء المغول ينخرطون في سلك هذا الشيخ ويتعلقون به تعلقاً تاماً، فذاع صيته وشاع

¹ - محمد بن قاسم النويري: الإعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية في واقعة الإسكندرية، ج5، ط1، تح عزيز سوريال عطية الإمام، دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن، الهند، 1393هـ/1973م، ص: 234-235.

أمره وأصبح له في أنحاء البلاد ولا سيما بلاد إيران مريدون وأتباع كثيرون، ومما يدل على كثرتهم أن الأمير جوبان سأل هذا الشيخ يوماً عن أيهما أكثر، جنود السلطان أم أتباعه ومريدوه ؟ فأجابه الشيخ بأن عدد مريديه في إيران وحدها يبلغ ضعف عدد جنود السلطان.

وأظهر حكام دولة المغول قدراً موفوراً من الأدب والإجلال والاحترام للصوفيين والذين كانوا سبباً في دخولهم الإسلام فصاروا يقدمون الفقهاء والصوفيين في صدر مجالسهم وأصبح حفظ القرآن وقراءته لا يفارقون مجالسهم وكثرت عطاياهم وهداياهم إلى مشايخ الصوفية وآمنوا ببركتهم وقدراتهم الخاصة⁽¹⁾.

ثالثاً: ممارسة بعض سلاطين المغول وامرائهم جوانب من الحياة الصوفية :

ممارسة بعض سلاطين المغول وامرائهم جوانب من الحياة الصوفية وتحول البعض الآخر منهم إلى التصوف وذلك الأمر تجسد في الاستجابة العملية لبعض من سلاطين وامراء المغول لممارسة بعض الطقوس والرياضات الصوفية، وبهذا الخصوص يذكر لنا رشيد الدين فضل الله أن السلطان غازان كان يمارس تلك الطقوس والرياضات إذ يقول عنه انه : " ذائع الصيت في الصبر والتحمل والحكمة، وكان ينزل عن الناس لمدة أربعين يوماً جالساً في خلوته عابداً مصلياً مانعاً لحد أن يزوره إلا لبعض خاصته مكتفياً بقليل من الطعام"⁽²⁾ ، وذكر ابن الفوطي بهذا الخصوص أن السلطان أوجايتو لبس خرقة⁽³⁾ ، التصوف من يد الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالخليلي الفيني عام 704 هـ في مدينة أوجان⁽⁴⁾ ، بل وصل الأمر ببعض امراء المغول أن اعتنق التصوف بما فيه من تقشف وورع وزهد مثلما فعل في العام 686 هـ الأمير تدان منكوب بن طغان بن باطو بن دوشي

¹ - ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص 200-201

² - رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ (قسم غازان)، ص 283.

³ - خرقة التصوف هي ما يلبسه المريد من شيعه الذي دخل في طريقته، ويعني ارتداؤها في العرف الصوفي المبايعه، ويمثل أيضاً فاتحة الدخول في طريقة ذلك الشيخ الذي سيتكلف بتربية وتهذيب أخلاقه وتقوم سلوك ذلك المريد.

انظر: عبد الحميد مذكور في موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، ص 134 (نسخة المكتبة الشاملة الإلكترونية).

⁴ - ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج 1، ص 270.

بن جنكرخان الذي أعلن تصوفه وأظهر التزهد والانقطاع إلى الصلحاء بعد أن تنازل عن سلطته في بلاد الشمال لابن أخيه تلابغا ابن منكوتر بن طغان⁽¹⁾، ومن أمراء المغول أيضاً أتابك أحمد الذي يذكر عنه أنه كان يلبس رداء الشعر تحت ثيابه⁽²⁾، وعرف عن الوزير المغولي سعد الدين الساجي أنه كان زاهداً في حياته، ومن المؤكد أن هناك شواهد أخرى إلا أن بخل المصادر حال من دون وصولها إلينا. قدم السلطان أتابك أحمد مرة على ملك العراق أبي، سعيده، فقال له بعض خواصه إن أتابك يدخل عليك وعليه الدرع، وظن ثوب الشعر الذي تحت ثيابه درعاً، فأمرهم باختبار ذلك على جهة من الانبساط ليعرف حقيقته، فدخل عليه يوماً فقام إليه الأمير الجوبان عظيم أمراء العراق، والأمير سويته أمير ديار بكر، والشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق وأمسكوا بثيابه كأنهم يمازحونه ويضاحكونه، فوجدوا تحت ثيابه ثوب الشعر، وراءه السلطان أبو سعيد، وقام إليه وعائقه وأجلسه إلى جانبه وقال له من أطاء ومعناه بالتركية : أنت أبي، وعوضه عن هديته بأضعافها وكتب له اليرليغ، وهو الظهير ألا يطالبه بمدية بعدها هو ولا أولاده.

* تدان منكو خان ابن طغان بن باطو بن جوجي بن جنكيز خان، وهو الذي قتلت أمه براق شين بعد موت باطو لمراسلتها هولاًكو وتولى السلطة سنة 679هـ/1280م، ويذكر الدوادار في أحداث سنة 681هـ أن: "فيها جلس تدان منكو على كرسي الملك بصراى بعد وفاة أخيه منكو تمر وقيل أنه جلس في سنة ثمانين وستمائة في شهر جمادى الآخرة وفي عهد هذا الخان تضاءل النشاط التبشيري المسيحي، وهذا من حسن حظه بسبب التزايدات المذهبية بين النساطرة الأرثوذكس والكاثوليك³ ظهر هذا الخان بمظهر الإخلاص والحب للإسلام لدرجة كبيرة، حيث أظهروا لزهد والتخلي عن النظر في شؤون الملك والانقطاع إلى المشايخ و الفقراء، والإمام بالعبادة

¹ - أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري، مسالك الإبحار في ممالك الأمصار، ج 27، ط 1: الجمع الثقافي، (أبو ظبي 1423هـ)، ص 449.

² - ابن بطوطة، مصدر سابق، ج 2، ص 25.

³ - بييرس الدوادار : مصدر سابق، ص 22.

والصلحاء والقناعة باليسير عن الكثير¹ فقرر أخيراً أن يتفرغ لحياته الروحية ليهتم بالتصوف، وآثر التنازل عن العرش طواعية وكانت مدة تملكه حوالي خمس سنوات على ما ذكره ابن خلدون حيث قال: "ولما هلك منكوتمر ملك مكانه ابنه تدان منكوت وجلس على كرسي ملكهم فأقام خمس سنين ثم ترهب وخرج عن الملك سنة ست وثمانين وستمائة، وانقطع إلى صحبة المشايخ والفقراء .

* محمد أوزبك حكم خانية مغول القفجاق مباشرة بعد وفاة عمه طقطاي سنة م1313/هـ712 فقد ذكر ذلك ابن كثير في ذكره لأحداث 712هـ أن فيها مات ملك دست القفجاق المسمى طقطاي خان....توفي في رمضان ، وقام في الملك بعده ابن أخيه أوزبك خان ويشير الرمزي إلى ذلك وكثير من المؤرخين مثال الذهبي والقلقشندي أن محمد أوزبك تولى العرش سنة 712هـ بعد وفاة عمه طقطاي² لكن يروي البعض من المؤرخين المتأخرين أن أوزبك تولى حكم خانية القبيلة الذهبية سنة 713هـ مثل محمد علي البار الذي يقول أنه آل إليه أمر الحكم م1313/هـ713 سنة مع أن رواية الرمزي جاءت فيها إشارة في كيفية تولي محمد أوزبك الحكم إذا أن طقطاي لم يخلف ولدا ذكرا ولا أنثى، وكان قطلقتيمر يتولى تدبير الخانية في حياته، فلما مات الخان سعى قطلقتيمر إلى تنصيب أوزبك بعد أن عاهده على اعتناق الإسلام وذلك في رمضان 712هـ/1313م وبعد أن مال الأمراء وأعيان الدولة وأركانها إلى طرفه لما رأوه من رشده وشجاعته وشهامته فبايعوه بالسلطنة وأجلسوه على كرسي المملكة³ لكن محمد أوزبك واجه معارضة من عمه تيكل بوقا على السلطة وهذا تيكل بوقاهو ابن طقطاي، فقد طمع في خلافة والده في الحكم ونازع أوزبك بشدة على ذلك، لكن أوزبك أرسل إليه من قتله في قصره يسرى تعتبر مرحلة اكتمال انتشار الإسلام بين مغول القفجاق في

¹ - الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، المطبعة الكريمة الحسينية، أورنبورغ، 1908 ، ص 474.

² -ابن كثير : البداية والنهاية ، ج2 ، ط1 ، مكتبة المعارف ، بيروت 1412هـ / 1991 م، ص 21.

³ - الرمزي: مصدر سابق، مج 1، ص 503-50.

عهد هذا الخان الذي مع توليه الحكم، بدأ يعم جميع الأراضي التي وصل إليها حكم المغول ماعدا الروسية منها، فقد أثرت المرحلة السابقة بحكامها وخاناتها في غرس مبادئ الإسلام بين غالبية المغول وإن لم تنجح في تحويلهم كلهم إلا أن هؤلاء الخانات والأمراء مهّدوا الطريق أمام أوزبك في القضاء على كل ما يناوئ الإسلام في بلاده وساعده ذلك على أن يجعل منه الدين الرسمي وبصفة نهائية لدولته، ليتعاقب بعده على الحكم خوانين مسلمون حتى نهاية الدولة واندثارها، مما جعل عصر هذا الخان العصر الذهبي للإسلام في خانية مغول القبيلة الذهبية. ومما يبدو عن مسألة إسلامه فقد وردت روايتان عن إسلام محمد أوزبك، الأولى هي أن محمد أوزبك تولى الحكم وهو مسلم، أي أسلم في شبابه على يد أربعة من الفقهاء الفرس هم: سيد شيخ محمود، والشيخ قولقات، والشيخ أحمد، والشيخ حسن قرقان، أما الثانية وربما هي الأقرب إلى الصحة، أن هذا الخان دخل في الإسلام بعد توليه الحكم. فقد ذكر الرمزي هذه الرواية نقلا عن كثير من المؤرخين، حيث يقول انه : طقطاي لما مات لم يخلف ولدا ذكرا ولا أنثى وكان قطلقتيمر يتولى تدبير المملكة في حياة طقطاي وترتيب أحوالها، فدبر له الجلوس على الكرسي وكان قطلقتيمر قد عاهده أنه إذا جلس يسلم ويتمسك بالإسلام، فلما جلس دخل في دين الله راغبا واتخذ له جامعا يصلي فيه الصلوات الخمس في أوقاتها¹ ونجد هذه الرواية أيضا عند ابن خلدون الذي زاد عنها بأن أوزبك تزوج امرأة أبيه حيث ذكر أن قطلقتيمر بايع أوزبك بإشارة الخاتون بيالون زوجة أبيه وعاهده على الإسلام فأسلم واتخذ مسجدا للصلاة، وأنكر عليه بعض أمرائه فقتلهم وتزوج الخاتون بيالون لما كان كافرا²

خلاصة الفصل :

العناية الكبيرة من لدن المؤسسة السياسية والعامة على حد ، تلك العناية التي كانت علامة فارقة طوال تاريخه السابق، وادلتها واضحة عبر عدة شواهد تاريخية وعلى الصعيدين المعنوي والمادي فبالنسبة للصعيد الأول يعززه المناصب الإدارية التي كان يكلف بها الصوفية، والعلاقة القوية التي تربط رجالات الدولة بشيوخ الصوفية، والنظرة القدسية التي

¹ عبد الحليم: مرجع سابق، ص.124

² ابن خلدون: مصدر سابق، ص.154

كان يكنها لشييوخهم سواء اكانوا الاحياء منهم ام الأموات، والحرية التي كانت يتمتع بها افراد التيار الصوفي، والحماية الخاصة والمميزة التي كانت تقدمها المؤسسة السياسية اليهم زد على ذلك قيامها في دعم واحياء طقوسهم ومراسيمهم ومناسباتهم. اما على المستوى المادي فيعززه الخدمات التي كانت تقدمها المؤسسة السياسية لدور عبادتهم على تشييد الجديد ام ترميم القديم ام على مستوى التجهيز ام تخصيص الأوقاف التي تمثل المصدر الرئيس في التمويل للتيار الصوفي افرادا ومنشآت. إضافة الى الخدمات الخاصة التي كانت تقدم لشيوخ الصوفية من السلاطين والامراء متمثلة بالهبات والهدايا والزيارات المتكررة. ناهيك عن الخدمات التي كانت تقدمها العامة من الناس لشيوخ التصوف ودور عبادتهم

الفصل الرابع: دور الطرق
الصوفية في ترسيخ الثقافة
الاسلامية داخل المجتمع
المغولي.

- المبحث الاول: دور الطريقة الكبروية .
- المبحث الثاني: دور الطريقة النقشبندية.
- المبحث الثالث: دور الطريقة القادرية.
- المبحث الرابع: دور الطريقة اليسوية.

تمهيد :

شهد القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي تنامي كبير للطرق الصوفية في العالم الإسلامي، وازداد هذا التنامي خلال القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي، إثر تكالب الحملات الصليبية على العالم العربي فزاده تفكك وتشرذم، وتعتبر منطقة آسيا الوسطى من بين المراكز الرئيسية لانتشار الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، وقد لعبت الصوفية دورا مهما في مقاومة المغول نوعا ما، ثم استسلمت بدورهم كما استسلم الآخرون أمام التفوق العسكري المغولي، وعلموا أن الاحتلال المغولي هو أمر واقع لا قوة له ولا دافع، فتوجهوا مثلهم مثل الآخرين إلى محاولة تحويل مغول تركستان إلى الإسلام. من بين الطرق الصوفية التي كان لها دورا مهما في بلاد ما وراء النهر ولعبت دورا كبيرا في مقاومة للمغول.

اولا: الطريقة الكبرى :

تنسب إلى شيخ العارفين أبو الجناح أحمد بن عمر الخوافي الخورزمي، المعروف بنجم الدين الكبرى توفي (618هـ/1221م)، وكان قد طار صيته وأصبح له الأتباع الكثيرة في آسيا الوسطى¹، مثل: الشيخ صفى الدين الباخري والشيخ نجم الدين الرازي والشيخ جمال الدين الجيلاني والشيخ مجد الدين البغدادي وبابا كمال الجندي وغيرهم كثير...²، ويقول ابن بطوطة: أنه من كبار الصالحين³، وقد أراد المغول أثناء حصارهم مدينة خوارزم أن يتقوا شره وشر أتباعه، وأرادوا ابدعائهم أن يجلبوه إلى صفهم أو على الأقل ضمان حياده، فأرسلوا يعرضون عليه مغادرة

¹ -هي طريقة صوفية تأسست على يد نجم الدين الكبرى، أحد رجال الصوفية السهروردية أسس طريقتة الخاصة به التي سميت على اسمه "الطريقة الكبرى"، قتل من طرف المغول في سمرقند سنة 617هـ/1221م، ولا يزال قبره إلى اليوم مزارا للناس،

انتشرت هذه الطريقة في آسيا الوسطى. ابن بطوطة: مصدر سابق، مج 3، هامش، ص10.

² - رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص87.

³ -ابن بطوطة: مصدر سابق، مج 3، ص10

المدينة مع أتباعه دون التعرض إليه بأذى، لكنه ضرب بطلبهم عرض الحائط، وأقسم على نفسه أن يجاهد في سبيل الله إلى آخر قطرة من دمه فيرزقه الله الشهادة أو ينتصر.

تذكر الروايات التاريخية أنه لما اقترب المغول من مدينة خوارزم جمع الشيخ تلاميذه، وكانوا أكثر من 60 تلميذا، وأمرهم بمغادرة البلاد بسرعة إلى مواطنهم، وذلك لمواصلة الدعوة إلى الإسلام، فأرسل سعد الدين الحموي إلى بلاد خراسان، وكمال الدين السرباتي إلى بلاد تركستان، ونظام الدين الجندي إلى بلاد قفجاق، وسيف الدين البخارزي إلى بخارى⁽¹⁾، فكان ذلك حكمة ودهاء منه، فقد عمد إلى تفريقهم على كل الجهات لكي يضمن نجاة ولو واحدا منهم، فيواصل نشر مبادئ الطريقة ويعمل على تحويل المغول إلى الإسلام، فلو أنه تركهم في منطقة واحدة لم يكن ليؤمن عليهم بطش المغول، ومن ثم تنتهي طريقته وتذهب جهوده هباء منثورا، وقد أثبتت الأيام مدي سداد بصيرته، فقد تمكن أتباعه من بعده حمل لواء الدعوة على عاتقهم، وأفنوا حياتهم في الوعظ والإرشاد وتلقين مبادئ الإسلام لمغول تركستان⁽²⁾، واستطاع البخارزي تحويل السلطان بركة خان إلى الإسلام كما سنبينه بعد قليل. وتقول المراجع التاريخية أنه بعد ذلك الاجتماع الكريم بقي من بقي من المريدين والتلاميذ مع شيخهم لمحاربة المغول، وخرج الشيخ نجم الدين الكبرى يحمل حربته وجعبته المليئة بالحجارة، وضل يقذف المغول بالحجارة ويضربهم بالحربة حتى بلغته الشهادة 618هـ/1221م، وهو قابض بيديه على ضفيرة أحد محاربي المغول، ولم يستطيعوا تخليصه من قبضته إلا بعدما قطعوها، فكانت تلك ملحمة من ملاحم الجهاد التي سطرها نجم الدين

¹ - أحمد جلايلي ، الإسلام مغول تركستان 624-808 هـ / 1227-1405 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، الجزائر ،

2011 ، ص 137

² - رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص ص، 88، 87.

الكبرى وأتباعه من أصحاب الطريقة الكبراوية في الدفاع عن مدينة خوارزم ضد المغول. لقد كان الصوفية أثناء الغزو المغولي أكثر حمية في إذكاء روح المقاومة والجهاد ضد العدو بين الناس، ففي سنة 630هـ/1233م تجددت الثورة على المغول في بخارى منطلقاً من قرية طراب(18 كلم على بخارى)¹.

برعاية الرجل الصوفي صانع الغرايل المسمى "محمود الترابي"، وأيده في ذلك الشيخ شمس الدين محبوب، على اعتبار أن المسلمين لا ينبغي لهم أن يحكموا من طرف المغول الكفار، الذين يفرضون على المسلمين أكل الميتة، واحتجاجاً على ظلم المغول وعماهم من جباة الضرائب، وتمادي الإقطاعيين المحليين في تعسفهم⁽²⁾، فكانت تلك ملحمة ثانية من ملاحم كفاح الصوفية ضد مغول تركستان. واستغل بعض الأشخاص اسم الصوفية لكسب الجماهير والأنصار من أجل مقاومة المغول، مثلما فعل أحد رجال بخارى يسمى ابن الكرم الداراني، وفي الحقيقة كان مشعوذ ادعى التصوف والولاية وتلقب بالمهدي وجمع الناس حوله سنة 637هـ/1239م، وأمرهم بقتل النصارى واليهود والمغول في مدينة بخارى ونهب أموالهم، كما أقنع أتباعه بأنه قادر على قتل المغول وهزيمتهم دون أي سلاح، فصدقته الناس وتبعه خلق كثير فقتلوا شحنة بخارى من المغول، ولكن المغول سرعان ما قضوا عليه⁽³⁾.

كانت تلك صفحة أخيرة من صفحات مقاومة الصوفية للمغول على ما يبدو، الآن الطرق الصوفية تحولت كغيرها إلى محاولة كسب قلوب المغول إلى الإسلام، مستغلين في ذلك احترام

¹ - أحمد جلاي ، مرجع سابق ، ص 139.

² - وقد تمكن هذا الرجل الصوفي أن يحرك رجال بخارى ودعاهم إلى الجهاد فكثير مؤيده وانظم إليه الآلاف الثائرة المسلحة بالعصي والفؤوس والمذاري، فهرب مسئولو المغول واندس آخرون بين الثوار من أجل قتل محمود الترابي، ولكن الثوار استولوا على بخارى و بايعوا الترابي بالخلافة وأعدموا وجهاء المغول ووزعت أملاكهم بين الفقراء، ولكن الثورة سرعان ما أهدمت من طرف المغول. أنظر ، نفسه 140 .

³ - رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص ص، 85، 86.

بعض المغول للعلماء والفقهاء ورجال الدين، ومن على شاكلتهم من الصوفية، وذلك منذ غزوتهم الأولى، ففي مدينة بخارى قتلوا كل من وجدوه أمامهم إلا القاضي وشيخ الإسلام ومن احتفى بهما.

وروي عن جنكيزخان أنه التقى بعلماء مدينة بخارى إثر عودته إلى وطنه، وسألهم إن كان خوارزمشاه يأخذ الضرائب منهم ؟ فأجابوه بنعم، فتعجب من ذلك كثيرا وقال: كيف يرجو النصر والعزة بهذه المعاملة للعلماء، لأن النصر مرهون بالدعاء وهو يقتضي النشاط وفراغ البال بل الإحسان والإنعام، ثم أمر نوابه أن لا يأخذوا الفوائد الميرية من العلماء وأهل العلم، وطلب منهم الدعاء له وعاد إلى بلاده. وسار خلفاؤه على نفس سياسته، فقد كان "كيوك خان" (644-647هـ/1249-47م) لا يأخذ الضرائب من أصحاب العبادات من الوثنيين والنصارى والمسلمين، بل سهل عليهم المؤن ورفع عنهم التكاليف الأخرى، وخفف عليهم في الأوزان¹، فكانوا لا يكلفون العلماء والصوفية شيئا من الجنايات.

لاسيما إذا علمنا أن هؤلاء العلماء لم تكن تأخذهم في دين الله لومت لائم، فقد كان في مدينة هرات مثلا أحد الزهاد اسمه "نظام الدين مولانا" . يحبه الناس كثيرا ويرجعون إلى قوله، فاتفق معهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان في قصر الملك، و في يوم من الأيام علموا بأن الملك يعاقر الخمر في قصره، فاجتمعوا في 6 ألف رجل وطوقوا القصر، وقام الفقيه وكبار رجال المدينة بإقامة حد العقوبة عليه². ومن هنا كان المغول يعملون جاهدين لاستمالة العلماء والصوفية إليهم. لقد اغتنم كثير من العلماء ورجال الصوفية هذه الفرصة من أجل نشر الإسلام في صفوف مغول تركستان، وقد اغتنمها أحد أتباع الطريقة الكبروية المعروف بالشيخ الزاهد العابد سيف الدين الباخري (ت 659هـ/1261م)، وكان هذا الأخير من كبار أولياء

¹ - أحمد جلايلي ، مرجع سابق ، ص 459.

² - ابن بطوطة: المصدر سابق، مج 3، ص 49

مدينة بخارى ذائع الصيت فيها فأرسل تلميذه الكبير المحال إلى السلطان "بركة خان" ليشرح له الإسلام، فانشرح صدره لهذا الدين ودخل فيه، وفرح البخارزي بذلك كثيرا وكتب إليه يؤيده ويطلق يده في كل لأفعال ولأعمال، فصمم "بركة خان" على ضرورة زيارة ذلك الشيخ الجليل⁽¹⁾، فكان له ذلك عند فراغه من إجلاس "مونكوخان" 648هـ/1250م على تخت المغول العظام، وفي طريق عودته مر بمدينة بخارى واجتمع بالشيخ سيف الدين البخارزي، وأعلن إسلامه على يديه.

ثم عاد إلى بلاده وحسن إسلامه وأكرم المسلمين والفقهاء والعلماء أيما إكرام، وبني المدارس والمساجد ونشر الإسلام بين أتباعه، كما أسلمت زوجته "حجك خاتون" واتخذت لها خيمة على شكل مسجد تحمله معها أينما ذهبت، وهكذا كان بركة خان أول من أسلم ممن المغول⁽²⁾. وبمجر اعتلائه عرش القبيلة الذهبية حتى أشهر إسلامه وأعلنها دولة إسلامية في سنة (654هـ/1256م)، واتخذ نفسه حامي القرآن والشريعة الإسلامية، وأعلنها حربا شعواء ضد بني جلدته، وبدأت الحرب فعلا بينه وبين "هولاكوخان" (654-664هـ/1256-1265م) مؤسس إيلخانية مغول فارس في سنة 660هـ/1262م، وذلك إثر إسقاطه الخلافة العباسية في سنة 656هـ/1258م⁽³⁾.

فكانت تلك خدمة من خدمات السلطان "بركة خان" الجليلة للإسلام والمسلمين، ولاشك أنها تدخل في ميزان حسنات شيخ الصوفية البخارزي الذي أسلم على يديه، واستمرت الطريقة الكبراوية تؤدي نفس الدور في هداية مغول تركستان إلى الإسلام، واستمر أتباع نجم الدين الكبرى والبخارزي في قيادة الطريقة إلى عهد التيموريين، حيث ظهر في عهدهم مولانا حسين

¹ -ابن خلدون:مصدر سابق، ص 1538

² -القلقشندي: مصدر سابق، ج4، ص474.

³ -لقد غضب بركة خان كثيرا على هولاكو وقال: "إنه دمر جميع مدن المسلمين وقضى على أسر ملوك الإسلام جميعهم، ولم يميز بين الصديق والعدو، وأعدم الخليفة دون مشورة كبار الأسرة، فلو أمدني الله تعالى لطالبته بدماء الأبرياء" وفي سنة 660هـ/1262م. رشيد الدين الهمذاني: مصدر سابق، مج 2، ج 2، ص232.

كبرا حفيد نجم الدين، واشتهر كشاعر وصوفي ألف كتاب شرح فيه أمور الصوفية على شاكلة كتاب "مثنوي" لمولانا جلال الدين الرومي صاحب الطريقة المولوية⁽¹⁾

ثانيا: الطريقة النقشبندية :

لعبت الطريقة النقشبندية كذلك دورا مهما في إسلام مغول تركستان، فقد كان لها دورا مهما في الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر، وذاع صيتها في كل أنحاء آسيا الوسطى، وحوض نهر الفولقا والهند واليمن والشام ومصر وتركيا، وسميت هذه الطريقة على مؤسسها " بهاء الدين بن محمد بن برهان بن الدين محمد البخارزي" (716-790هـ/1317-1389م)⁽²⁾، وأصله من قرية "قصر هندواني" البعيدة 12 كلم عن بخارى، وكان يعمل في نقش المشغولات المعدنية وتطوير المنسوجات، ومن هنا أطلق عليه اسم "نقشبندي" أي ناقش وصانع الزخرفة، ويمقت التظاهر بالتدين ويحارب البدع والخرافات، مثل صيام 40 يوما والدروشة وعقد حلقات المدح بأصوات الموسيقى، كما نهى أتباعه عن التظاهر بالفقر والتقرب إلى ذوي السلطان، وحثهم على الكسب من أعمال أيديهم، والتمسك بالشرعية الإسلامية وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

استطاعت الطريقة النقشبندية السيطرة على ساحة العمل الصوفي طيلة القرن 8هـ/ ق14م، وتمكن أتباعها النشطين من تعليم الناس أمور دينهم، ونشرت الإسلام بين مغول تركستان الوثنيين، مستمدين مبادئهم من طبيعة تلك الطريقة التي كانت تحت أتباعها على عدم الانزواء

¹ - رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص 88.

² - لم يذع صيته إلا بعد موته حيث اعتبره العامة من بخارى رجلا مباركا، ثم بعد ذلك قام السلطان "عبد العزيز خان الشيباني" حاكم بخارى (946-957هـ/ 1550-40م)، ببناء فبره ثم أصبح مزارا يرتاده الناس من كل الجهات، ويرجع لبهاء الدين الفضل في إرساء قواعد الطريقة النقشبندية التي تطورت على أيدي مريديه أمثال: علاء الدين العطار (802هـ/ 1400م) والحاج محمد يارس (745-822هـ/ 1345-1420م) أخانا محمد إسلام (1423-1563م). أحمد جلال: مرجع سابق، ص 150.

والزهد في الدنيا بل تشجعهم على شغل حياتهم وكسب المال بالعمل المفيد للمجتمع وجهاد كفار المغول، وقد ظهر منها كثير من العلماء والمريدين ولأتباع لعبوا دور مهما في تحويل المغول إلى الإسلام، أمثال: الخواجه عبد الله (806-895هـ/1404-1490م) الذي كان من بين العلماء البارزين في علوم اللغة والتفسير والتصوف، حتى تخاصم أهل عصره فيه، وقد لعب كل من الخواجه أبو فير باراس (745-822هـ/1345-1420م)، والخواجه عبيد الله أحرار (806-895هـ/1404-1490م) الذي أدى دور الكبير في نشر الإسلام تركستان، وهكذا لعبت الطريقة النقشبندية الدور المهم في إسلام مغول وإلى جانب تلك الطرق فقد لعب الكثير من رجال الدين والصوفية والعلماء المنفردين دور مهما في تحويل مغول تركستان إلى الإسلام، مثل الإمام والشيخ العالم الورع الخواجه بهاء الدين المرغلاني (المرغاني) الذي عينه "كيوك خان" (644-647هـ/47-1249م) وزيرا ونائبا عنه في بلاد ما وراء النهر، في عهد "يسو-منكي الجغتائي" مثلما ذكرنا من قبل، وكان هذا الوزير من أسرة دينية عريقة من مدينة فرغانة، وقد أصبح بيته مقصدا للعلماء البارزين من مختلف الجهات، وكان هذا الوزير يجمع بين الثقافة الدينية والدينية فعمد إلى إحياء العلوم الإسلامية، وتأثر بنشاطه الكثير من الموظفين المغول غير المسلمين واعتنقوا الإسلام على يديه، وكان له الفضل الأكبر في تحويل "كورجوز" نائب الإيلخان إلى الإسلام، والذي كان من الأويغور البوذيين من مدينة "باش بالق" ويعمل في خراسان، فأعاد هذا الأخير طبقة الموظفين المسلمين الفرس إلى مناصبهم المعهودة، كل ذلك بتأثير الوزير المرغلاني وأسرته وأتباعه⁽¹⁾.

هناك أيضا ذلك الصوفي الداعية المعروف بـ: "السيد علي الهمداني"، الذي كان يتجول في كثير من الأنحاء لأزيد من 3 سنوات وهو يعظ الناس والمغول إلى الإسلام، وقد أفلح في تحويل الكثير منهم، قبل أن يتوفى في ناحية ختلان قرب نهر جيحون سنة 786هـ/1284م، وترك لنا

¹ رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص ص 73، 89 .

الكثير من المؤلفات في المواضيع الأخلاقية والتصوف، فكان ذلك عمل من أعمال الصوفية المنفردين.

ويخبرنا لابن بطوطه أحد علماء مدينة بخارى المعروف بـ: "بدر الدين الميداني"، وكان يعمل على استمالة السلطان كبك خان بن دوا بن جغتاي (718-726هـ/1318-1326م) إلى الإسلام، بعدما سأله هذا الأخير قائل: "إنك تقول أن الله (تعالى) ذكر كل شيء في كتابه العزيز. فأين اسمي فيه؟" فأجابه قائل: في قوله تعالى "... في أي صورة ما شاء ركبك..."⁽¹⁾، فأعجبه ذلك كثيرا وأكرمه أيما إكرام، وزاد في تعظيمه للمسلمين⁽²⁾، كما ذكر لنا أعمال الإمام حسام الدين الياغي مع السلطان "طرماشرين" (726-734هـ/1334-26م) الذي كان يعظه وينهاه عن الظلم والمنكر ويغلظ عليه القول، والسلطان في كل ذلك ينصت إليه بكل تواضع ويبيكي⁽³⁾، وكيف لا يفعل ذلك وقد أسلم على يد ذلك الشيخ الجليل، وأعلن إسلامه على يديه في نفس السنة التي اعتلى فيها عرش مغول تركستان⁽⁴⁾، فكان هو أول من أسس إلخانية مغول تركستان الإسلامية. ويخبرنا المؤرخ بارتولد عن قصة اعتلاء السلطان "خليل" (743-744هـ/42-1343م) العرش، فلم يكن مسلما فقط بل إنه كان يعد مرشدا روحيا لبهاء الدين النقشبندي، ويعني هذا أنه أسلم منذ عهد بعيد على يد أتباع الطريقة نفسها، وقد تمكنت جماعة من رجال الدين الذين كانوا يمتنون التجارة، وعلى رأسهم الشيخ جمال الدين إلى تحويل السلطان "تغلق-تيمور" (748-765هـ/47-1363م) إلى الإسلام، وأشهره على يد ابنه رشيد الدين، فحسن إسلامه ونصر الإسلام والمسلمين في إلخانية مغول تركستان .

¹ - القرآن الكريم، الآية 8، سورة رقم 82.

² - تحفة الناظر: مصدر سابق، مج 3، ص 28، 27.

³ - نفس المصدر، مج 3، ص 29.

⁴ - رجب محمد عبد الحليم: نفسه، ص 237.

ثالثا: الطريقة القادرية :

تحتل هذه الطريقة المكانة من بين الطرق التي انتشرت في آسيا الوسطى مؤسسها هو الشيخ عبد القادر الجيلاني (480 562 هـ) (1077 - 1166 م) وكان مركزها في بغداد وقد تباب انتقلت إلى منطقة اسيا الوسطى عن طريق التجار العرب وظهرت في منطقة فرغانة في القرن 12، وقد حافظت هذه الطريقة على وجودها في تلك المنطقة حتى الآن ، وفي النصف الثاني من القرن 19 دخلت هذه الطريقة إلى الشيشان وكان دورها حيويا وكبيرا على يد مرشدها "مونتاجي وتذكرها المصادر الروسية بطريقة مونتاجي ؛ لعدم معرفتهم بالقادرية القديمة .

وقد لعبت هذه الطريقة دورا أساسيا في ترسيخ الإسلام في منطقة القوقاز ، هذا وقد قامت السلطات الروسية باعتقال مونتاجي مع أقاربه والاف من مريديه؛ خشية تزايد موجات العصيان الكبرى التي كانوا يشنونها ضدهم ، وقد توفي مونتاجي في أحد السجون الروسية عام 1867م.

وينتشر أتباع هذه الطريقة أيضا في شمال أذربيجان والداغستان و قازاقستان وقيرغيزيا ولا يزال انتشارها واسعا في تلك المناطق حتى الآن . نظرا لطابعها الشعبي ، وكان لها انتشار أيضا في كوسوفا ومقدونيا ، وأسست فيهما العديد من التكايا ، وقد لعبت دورا مهما في تشجيع الأدب الإسلامي في البوسنة وكوسوفاء ومن أشهر التكايا تكية سنان اغا التي كان الدراويش ينشدون فيها أورادهم وأشعارهم الصوفية وهي من أجمل التكايا التي ظهرت في القرن السابع عشر، وتقع حاليا على إحدى رولي سرايفو، وهي تضم أضرحة الشيوخ وضريح سنان أغا وتنتشر القادرية على شكل جماعات مركزية ترتبط بمشايخها ارتباطا وثيقا.¹

¹ -بن دجين السهيلي ، الطرق الصوفية ، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها ط¹ ، دار الكنوز اشبيليا ، الرياض ، 1426 هـ - 2005 م ، ص 84 .

وأورادهم تصحبها أغاني وموسيقى ورقص ؛ ولها جاذبيتها الخاصة بين الباعها وكانت على عكس النقشبندية التي عرفت بعلم التطرف وتسامحها مع الكيان لسوفي ، فكانت القادرية أكثر تعصبا؛ حيث كان لها طابع أصولي معاد للأجنبي وترفض أي نوع من أنواع الصلح مع الفكر الملحد ، وقد ظلت هذه الطريقة تتخذ شكل الجهاد لأكثر من قرن وصاروا هدفا للروس ولقوات الإبادة السوفيتية.

ومن أهم زعماء القادرية أيضا "ويس حجي" وقد لمس طريقة سميت باسمه علم 1900م وهو الذي قاد الهمم وبث روح الحماس للجهاد وتأليف قلوب المجاهدين الذين كانوا يواجهون الموت في مجاهل سيريا فحقق لهم القدرة على الصمود والثبات خلال فترة النفي وكانوا لا يلبسون الملابس المصنوعة في المصانع السوفيتية ، ولا يتناولون أطعمتهم، ويحذرون المسلمين من التعامل مع الكفار ، وقد سمحت هذه الطريقة بإشراك النساء في مجالس الذكر ، واتخذت طابعا أصوليا وهو ما تحرمه الطرق الأخرى ورغم ملاحقة المريدين فقد بلغ عدد القادرين من سكان الشيشان ما يقرب من مريد وفي داغستان كان يوجد حوالي 61200 مريد و 19 شيخ و 60 وكيل شيخ ، وقد لدى عداء الروس وقتلهم لرجال الدين والمتصوفين وتفيهم إلى ازدياد النشاط الصوفي في المنطقة ولا سيما نشاط الصوفية التي سبق عن طريقة مونتاجي فقد ظهرت في داغستان طريقة وبس حاجي الذين أطلق عليهم الروس "جماعة الطاقات البيضاء".¹

رابعا: الطريقة اليسوية :

تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ أحمد اليسوى وكان تلميذا للشيخ يوسف الهمداني . ولد أحمد اليسوى في صايرام وتوفي في مدينة يسي (شمال قازاقستان) عام 562 هـ - 1166م . كان أحمد اليسوى شاعرا يكتب باللغة التركية وكان له كتاب يسمى "ديوان الحكمة" وكان

¹ - السهيلي ، مرجع سابق ، ص 85

لأشعاره تأثيرها في دخول قبائل الترك والمغول للإسلام ، وقد انتشرت هذه الطريقة في معظم أرجاء آسيا الوسطى وخوارزم ودولة التركمان ودولة التتار في وسط الفولجا ، وانتشرت طوائف اليسوية في خراسان وشمال إيران والأناضول، كما انتشرت في وادي فرغانة¹.

وقد وقد أحمد اليسوى إلى التركستان ليعمل بالإرشاد والهداية وكان يعتمد تصوفه على الإشارات الروحية الأخلاقية وتروى المناقب أن الشيخ أحمد يسوى قد يعم وجهه شطر بخارى بمشورة شيخه لرستان يا ، وتعرف هلك على الشيخ يوسف المعالي والنسب الى طريقته وانشغل بالدعوة الإسلامية وضطلع بنشرها بين الناس والتف المريدون حوله وذاع صيته في كل أرجاء التركستان وبلاد ما وراء النهر وخراسان حتى شمل خوارزم ، وكان له عبد الصولي في العلوم الظاهرة² والباطنة، والجدير بالذكر عند مريدي الشيخ أحمد يسوى وصل إلى تسعة وتسعين ألف عربية ، وفي رواية أن عندهم بلغ اثني عشرعربة ومن أبرز خلفائه الشيخ "بابا ماجين" من مشاهير رجال خراسان المتصوفة، وللشيخ أحمد يسوى مناقب وكرامات لا حصر لها ظهرت في بلاد ما وراء النهر مما كان له أبلغ الأثر في نفوس مسلمي هذه البلاد وتعمت تأثيره الأخلاقي والمعنوي بين عموم الناس في الروملي وآسيا الصغرى واذريجان ويقوم اليسويون بأنكارهم جهرا إلا أنهم حولوا أذكارهم إلى الخفاء في ظل الحكم السوفيتي ، وأصبح للطريقة اليسوية دورا فعالا في القرن العشرين وقد تفرعت عنها طريقة "الصوفية ذوو الشعور" وكانت من أهم الطرق الصوفية في آسيا الوسطى ومن سمات الطريقة اليسوية انغماسها في النشاط السياسي فكان كثير من الزعماء العسكريين في منطقة ولدي فرغانة من شيوخ اليسوية مثل "عبدالعزیز مقسوم" و"ملادهقان و حال خوجه واتسمت الطريقة اليسوية بأنها أكثر الطرق تصوفا وبعدا عن الانغماس في الأمور

¹ ، بن سعيد جمال ، العصر الذهبي لمغول القبيلة الذهبية مغول القفجاق 654 ، 772هـ/ 1256 ، 1341م ، 2012 ، 1433/ ص 95 .

² هدى درويش ، مرجع سابق ، ص 104 .

الدينية وكان لها نشاط سياسي فعال في المنطقة ، ومن الجدير بالذكر أن الطريقة اليسوية كانت تسمح باشتراك النساء فظهرت طريقتان خاصتان بالنساء هما "اللاجيون" ، و "المتصوفة الفرسان" وهما متفرعتان من اليسوية وتتميزان بالسرية والأصولية ولها مجموعات تتزعمها شيخات وتصف المصادر السوفيتية هذه الطريقة بأنهم "علماء الدين الرجعيون" كما تذكر الأجهزة السوفيتية أنها عاجزة عن فهم إستراتيجية هؤلاء المتصوفين كما التقت من اليسوية في العشرينيات طريقة جديدة سميت باسم طائفة ايشان شفر" وكان مركزها مدينة الرستان باد في والدي فرعانة ولها مريون في اورى كستان وفي قبر عزريا ، وقد كشف السلطات السوفيتية هذه الطريقة عام 1963م أثناء محاكمة شيوخ المتصوفة بين اهتمتهم السلطات بانشاء مدارس دينية وبوت سرية للصلاة .¹

خلاصة الفصل :

كان تأثير الإسلام تأثيرا بالغا في نفوس المغول الغزاة، إذ لا يستبعد أن تكون فئة منهم تأثرت نتيجة اختلاطهم بالمسلمين واطلاعهم على هذه الملة العظيمة، كما يجدر بنا أن نذكر أن بلوغ الأنوار الحمديدية إلى قلوب غالبية المغول كان عن طريق العمل والدعوة بالأخلاق الحميدة والكلمة الحسنة من فئة اعتبرت آنذاك الشريان الحيوي في الأمة الإسلامية التي لم يبق منها إلا الأطلال من حضارتها وقوتها، إذ برز شيوخ الطرق الصوفية ونشروا مؤيديهم ومريديهم عبر البقاع والأصقاع التي وصلها المغول، وبعدها هدأت فورقهم وسطوتهم توغلوا في أوساطهم بالعمل السري والعلني، والدعوة إلى السلم والإسلام فرادى وجماعات، فكان لهذا المجهود المحمود الأثر البالغ في صهر قوة المغول وتحويلها لصالح الإسلام في كثير من المناطق التي حكم قبضتها خانات وأمراء مغول في الممالك المختلفة من الإمبراطورية المغولية.

¹ هدى درويش ، مرجع سابق ، ص 108 .

خاتمة:



كان تأثير الإسلام تأثيراً بالغاً في نفوس المغول الغزاة، إذ لا يستبعد أن تكون فئة منهم تأثرت نتيجة اختلاطهم بالمسلمين وإطلاعهم على هذه الملة العظيمة، كما يجدر بنا أن نذكر أن بلوغ الأنوار الحمديدية إلى قلوب غالبية المغول كان عن طريق العمل والدعوة بالأخلاق الحميدة والكلمة الحسنة من فئة اعتبرت آنذاك الشريرين الحيوي في الأمة الإسلامية التي لم يبق منها إلا الأطلال من حضارتها وقوتها، إذ برز شيوخ الطرق الصوفية ونشروا مؤيديهم ومُريديهم عبر البقاع والأصقاع التي وصلها المغول، وبعدها هدأت فورقهم وسطوتهم توغلوا في أوساطهم بالعمل السري والعلني، والدعوة إلى السلم والإسلام فرادى وجماعات، فكان لهذا المجهود المحمود الأثر البالغ في صهر قوة المغول وتحويلها لصالح الإسلام في كثير من المناطق التي حكم قبضتها خانات وأمراء مغول في الممالك المختلفة من الإمبراطورية المغولية، وقد ترتب على دخول مملكة مغول عدة نتائج نحاول إجمالها في ما يلي :

1. لعبت المنشآت الإسلامية كالمساجد والزوايا والمدارس في بلاد ما وراء النهر دوراً مهماً في إسلام مغول ونشر الثقافة الحضارة الإسلامية بينهم.

2. استطاع المغول اجتياح العالم الإسلامي وسيطر على كل أراضي قارة آسيا بعدما وحدهم قائدهم الشهير جنكيزخان تحت قانونه الياسا أو الياساق الصارم، ومن هنا فالتوحد تحت كلمة واحدة ولواء واحد هو مبدأ رباني، وسنة من سنن الكون الثابتة.

3. تلقت بلاد ما وراء النهر الضربة الأولى والموجعة من الجيش المغولي، فتعرضت لأبشع أنواع

التخريب حتى أصبحت قاعا صفصفا كأنها لم تغن بالأمس وكأنها لم تكن عامرة بالمدن الراقية و تشع بالحضارة.

4. لم يكن للمغول مشروع حضاري يتبنوه عند خروجهم واجتاحوا العالم الإسلامي، وإنما كانوا يتبنون مشروع عسكري سياسي يطمح إلى تملك كل أراضي أسيا بالذبح والقتل، دون إعارة أي اهتمام للأمم المتحضرة، وبمعنى آخر أن إمبراطوريتهم كانت عسكرية بالدرجة الأولى، ولهذا لم تستطع مقاومة المد الإسلامي وذابت في حضارته الراقية وتحولوا إلى دينه العظيم.

5. كانت فترة اجتياح المغول للعالم الإسلامي فترة عصيبة على المسلمين حيث كثرت فيها الفتن و التزاعات، وهذا ما استغله الصليبيون أيما استغلال من أجل كسب المغول إلى صفهم ونشر المسيحية بينهم ثم يضربون بهم المسلمين، ولكنهم فشلوا في تحقيق هذا الهدف وذلك لأن المغول لم يكونوا يؤمنون بالثنائية القطبية، وكانوا يعتبرون المسيحيين تابعين لهم ويأثمرون بأمرهم لا أنداد.

6. مر احتلال المغول للعالم الإسلامي بعدة مراحل، مرحلة الاجتياح السريع و المرعب والمخرب، ثم مرحلة الهدوء و التأثير بالحضارة لإسلامية الراقية، ثم مرحلة التحول إلى الدين الإسلامي وتطبيق تعاليمه وخدمة حضارته.

7. ساهمت كل فآت المجتمع الإسلامي في نشر الدين الإسلامي بين المغول بصفة عامة ومغول تركستان بصفة خاصة.

8. لعبت الصوفية وخاصة الطريقة الكبراوية والطريقة النقشبندية دورا مهما في اعتناق خانات مغول الدين الإسلامي، كما نجحوا في تحويل سلطان القبيلة الذهبية بركة خان إلى الإسلام

9. اهتم سلاطين و أمراء مغول المتحولين إلى الإسلام كثيرا ببناء المنشأة الحضارية الراقية كالمدن والحدائق الغناء والمساجد الرائعة والمدارس العلمية والقصور والحمامات والأرصدة الفلكية...، فتطور فن البناء أيما تطور.

10. ان الفكر الصوفي يحث على التواضع والزهد في الحياة الدنيا، وهي أمور يرغبها الغالبية العظمى من المجتمع. اما على مستوى رجالات التصوف فانهم يملكون من السلطان الروحي ما لا يملكه غيرهم من شيوخ القوى الدينية الأخرى وقتذاك، وان سلطانهم الروحي كان يقف دونه العامة والخاصة معا، وان ذلك السلطان كان يتميز بقوة كبيرة جعلت شيوخ التصوف يحتفظون به تجاه العامة والخاصة في حياتهم وحتى بعد مماتهم.

11. الازدياد المستمر لاتباع التيار الصوفي في مجتمع الدولة المغول .

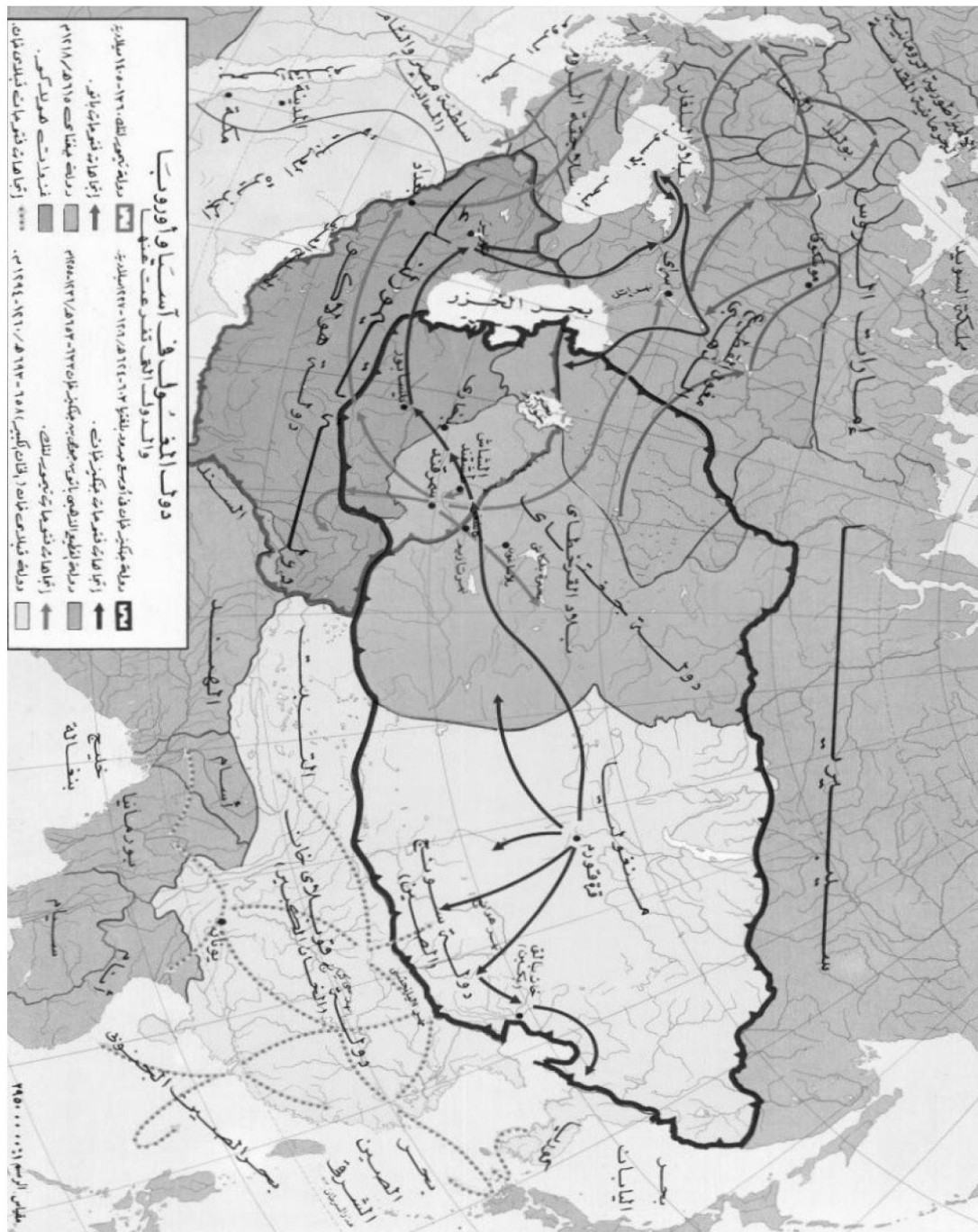
12. كثرة وانتشار دور العبادة الصوفية في ارجاء الدولة بشكل لافت للنظر كما عبر عنه الرحالة ابن بطوطة.

13. نال التصوف حظوة كبيرة من لدن القوى الإسلامية الأخرى والقوى غير الإسلامية اذ لم نجد ان دخل أحد من تلك القوى في أي خلاف مع رجالات التصوف.

الملاحق

الملحق 1¹:

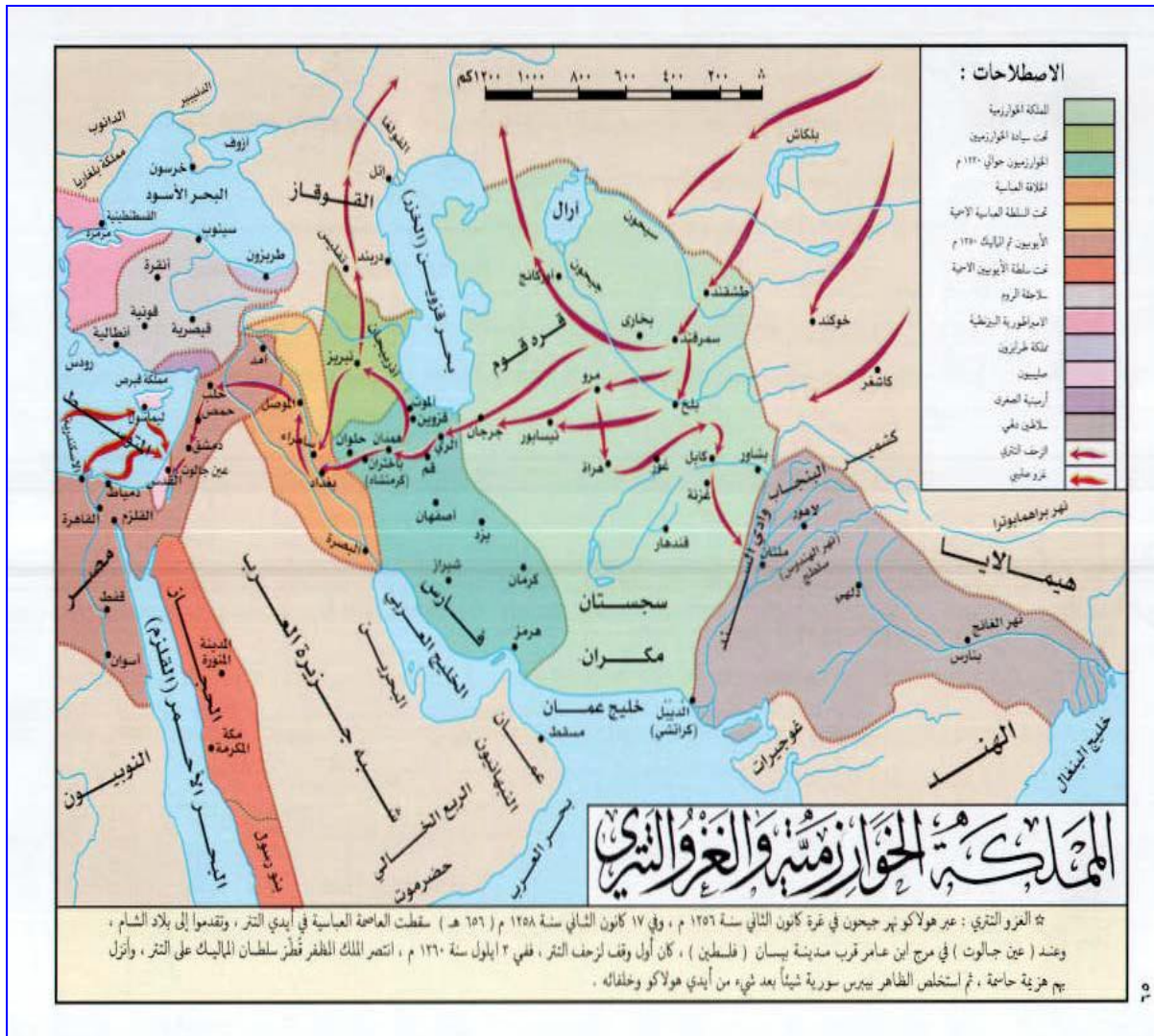
خريطة دولة المغول



¹ حسن مؤنس ، مصدر سابق ، ص 288.

الملحق 2:

الدولة الخوارزمية خلال الغزو المغولي¹



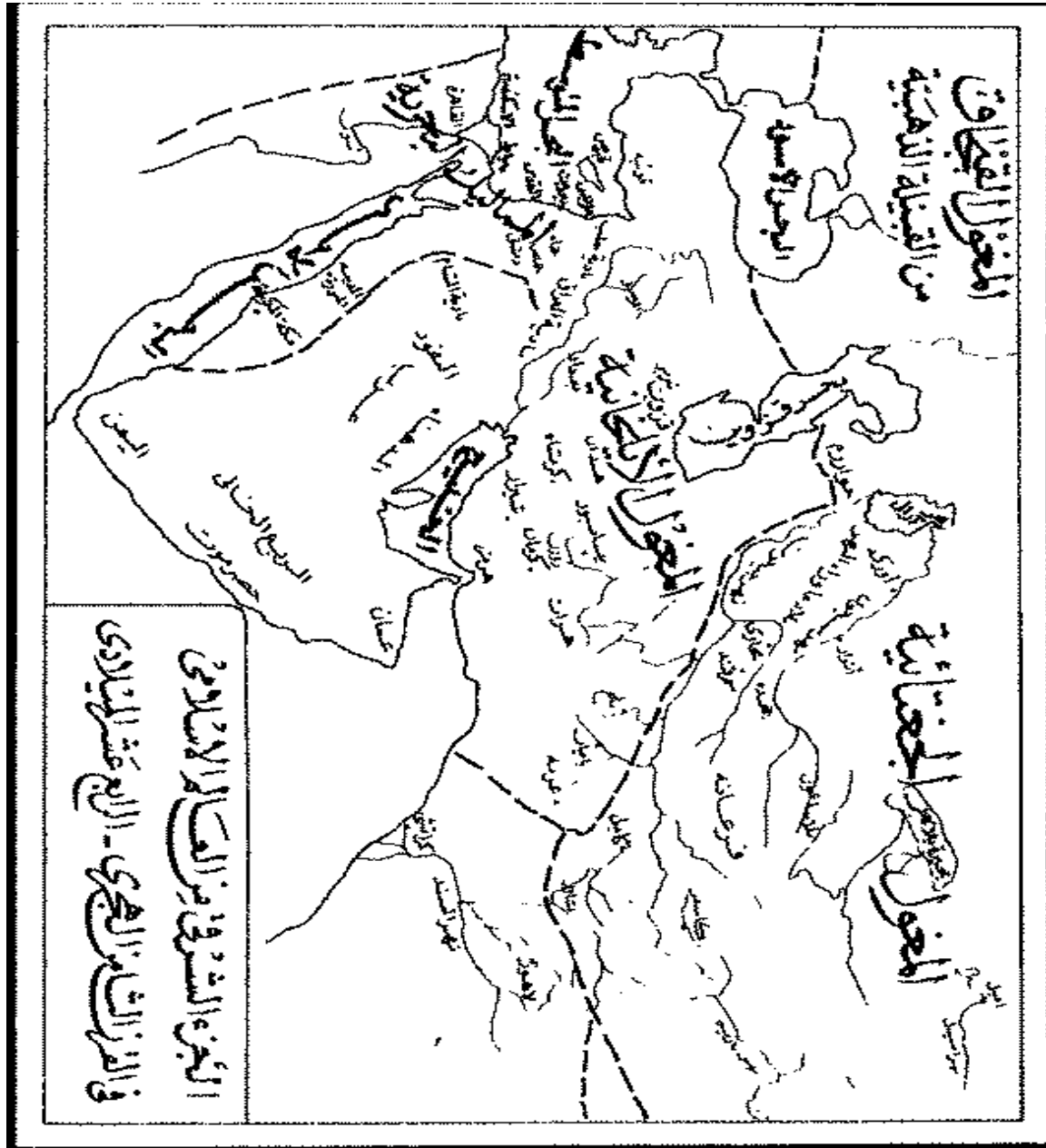
¹ شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1425هـ/12005، ص65.

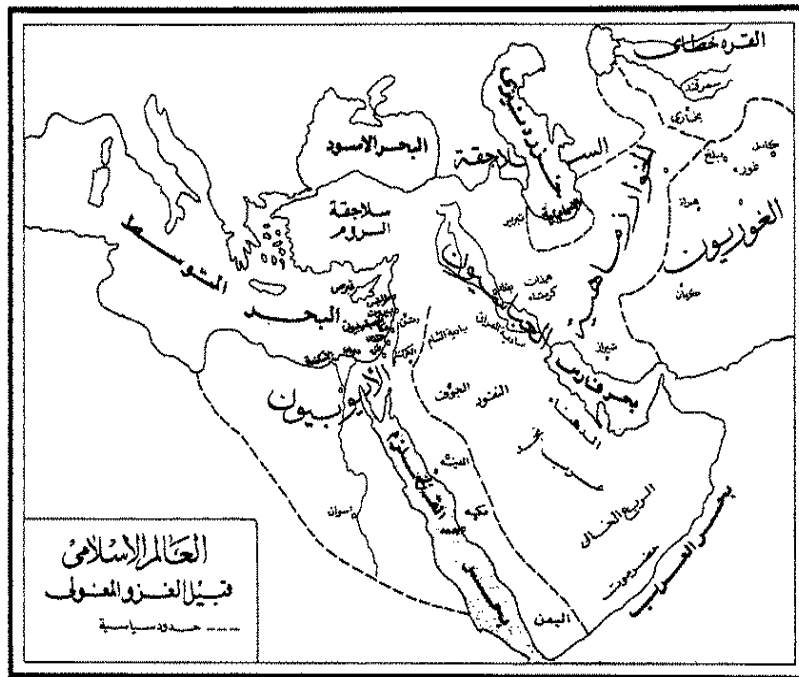
الملحق 3:

إمبراطورية المغول في أقصى اتساعها¹



¹ شوقي ابو الخليل، مرجع سابق ، ص 64.





قائمة مصادر

ومراجع

باللغة العربية :

❖ القرآن الكريم.

❖ اولاً :المصادر:

1. ابن الساعي ، مختصر أخبار الخلفاء، ط1، مطبعة بولاق ، مصر 1309 هـ 2017 م .
2. ابن العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة انشاء، ط2، ج4 ، تح عبد الجبرتي الحنفي، دار الكتب المصرية، الإنشاء، القاهرة ، 1340هـ/1922م
3. ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ،ط1، المكتبة العربية ، بغداد ، 1351هـ/ 1932م.
4. ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج4 ، ج5، ط1، تح محمد كاظم ، الارشاد السلامي ، 1416هـ .
5. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج2 ، ط1 ، مكتبة المعارف ، بيروت 1412هـ / 1991 م،
6. ابو الفيض منوفي ، جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف، ج1، ط1 ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، 1387 هـ -1967
7. ابي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة .، ج3، ط1، تح ابراهيم شمس الدين، دار الفكر ، القاهرة، 1979 .
8. ابي نصر الطوسي .، طه عبد الباقي ، اللمع ، ط1 ، تح عبد حلیم محمود، دار الكتب الحديثة ، مصر ، 1382 هـ -1960 م .
9. إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر ، ط1، ادارة ترجمان السنة ، بكستان

قائمة مصادر ومراجع

10. احمد ابن محمد بن علي المقرئ ، المصباح المنير، ج 1 ، ط 5 ، تح مجتبي الحمود، مطبعة الأميرية. ، القاهرة ، 1922
11. أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، ج 27، ط 1: المجمع الثقافي، (أبو ظبي ، 1423هـ) . بغداد ، 1963 .
12. بن خياط ،تاريخ خليفة ، ط 1 ، مطبعة الادب ، النجف ، 1967.
13. تاريخ الطبري ، تاريخ الرسول والمولك ، ج 6، ط 4 ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف ، 2019 .
14. جندي محمد سليم ، تاريخ معرة النعمان ، ج 1، ط 1 ، تح عمر رضا ، وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ، 1963 .
15. الجويني، تاريخ فاتح العالم "جهان كشاي"، ج 3 ، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ، 2006 .
16. الرحمان عبد الرحيم ، عجائب الآثار في التراجم والاخبار ، ج 2 ، ط 1 ، دار الكتاب المصرية بولاق ، القاهرة ، 1998 .
17. السهروردي، عوارف المعارف ، ط 1 ، تح توفيق علي، و احمد علي الرحيم ،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1999 .
18. عماد الدين إسماعيل بن علي أبو الفداء ،المختصر في أخبار البشر، ج 3، ط 1 ، تق حسين مؤنس ، تح محمد زينهم عزب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1907 .
19. القشيري ، الرسالة القشيرية ، ط 1 ، شركة المكتبة ، مصر ، 1359 هـ - 1940 م .
20. كامل مصطفى الشبيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ط 2 ، دار معارف ، مصر، 1958.
21. الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، ط 1 ، تح: ارثر جون ابري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1352هـ - 1933م .

قائمة مصادر ومراجع

22. محمد الفارسي لاصطخري ، مسالك الممالك، ط 1، دار صادر ، بيروت ، 1937.
23. محمد بن قاسم النويري: الإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية، ج 5، ط 1، تح عزيز سوريال عطية الإمام ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، 1393هـ/1973م.
24. محمد قطب ، واقعنا المعاصر، ط 1، دار الشروق ،القاهرة ، 1418هـ-1997م .
25. معين الدين نظري ، منتخب التواريخ معين، ط 1 ،انتشار الاساطير ، ايران ، 1383 هـ -2004 م .
26. مقدمة ابن خلدون، العبر والديوان ج 1، ط 1 ، تح كاترمير ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1858
27. نيكلسون ، التصوف الإسلامي وتاريخه ، ط 1 ، تر لأبي العلاء العفيفي ، اللجنة ، القاهرة ، 1366 هـ 1947م /هـ-1406-1986 م
28. الهمداني ، مقامات بديع الزمان ، ط 1 ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، 1426هـ/2005م.
29. ياقوت الحموي ،معجم البلدان" م 1 دار الصادر، بيروت، 1397-1977م .
- ثانيا :المراجع:
30. أرنولد، سير توماس، الدعوة إلى الإسلام، ط 1 ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، 1970م
31. أسعد السحمراني ، التصوف منشؤه ومصطلحاته، ط 1 ، دار النفاس ، بيروت 1407 هـ -1987 .

قائمة مصادر ومراجع

32. انوار جندي ، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ، دار ابن زيدون ، بيروت ، 1407 هـ - 1987 .
33. بارتولد شبولر، المغول في التاريخ، ط1 ، تع يوسف شلب ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ، 1981.
34. بدر، مصطفى طه، محنة الإسلام الكبرى، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م
35. بطروشوفسكي: الإسلام في إيران، ترجمة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1982 .
36. بن دجين السهيلي ، الطرق الصوفية ، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها ، ط1 ، دار الكنوز اشبيليا ، الرياض ، 1426 هـ - 2005 م
37. توفيق الطويل ، التصوف في مصر إبان العصر العثماني ، ط1، مطبعة الاعتماد ، مكتبة الآداب القاهرة . (1365هـ - 1946م).
38. جميل عبد الله محمد المصري ،حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة" ط مكتبة العبيكان -الرياض، 1996م"
39. جورج لايين، تر تغريد الغضبان ، عصر المغول، ط1 ، هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة ، ابوظبي، 1433 هـ - 2012 م.
40. حسن امين ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج6 ط6 ، دار التعارف ، بيروت ، 1423 هـ - 2002 م
41. حسين مؤنس ،أطلس التاريخ الإسلامي، ط1 ،زهراء للاعلام العربي ،القاهرة ، 2006 ،
- ".

قائمة مصادر ومراجع

42. داوود القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ط1 ، مطبعة القضاء ،النجف، 1970
43. سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الأولى، دار
44. سيرين بياني، تر سيف علي، المغول، المركز الاكاديمي ، العراق ، 2010
45. شبولر، برتولد، العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ط1 ،دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ، 1402،، 1402هـ/1982م.
46. طويل توفيق ، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة الادب ، القاهرة ، 1946
47. عبد الرحمان بدوي ، تاريخ التصوف الإسلامي، ط1 ، وكالة المطبوعات ،
48. عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العصر الأموي 41هـ/132هـ ،"، من موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي - القاهرة .
49. عبد القادر محمود ،الفلسفة الصوفية في الإسلام ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1966-1967
50. عبدالقادر طليمات ، مظفر الدين كوكبوري، ط1 ، وزارة الثقافة المصرية ، القاهرة ،
51. الغزالي، الإحياء علوم الدين ،3ج ، ط1 ،دار المنهاج ، السعودية ، 495هـ 1102 م
52. فتحي اللهبي، رياح الشرق، ط1 ،دار النهضة العربية ، بيروت ، 2013
53. فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، ج1 ، ط1 ،دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980
54. قاسم غني ، تر لصادق نشأت ، تاريخ التصوف في الإسلام ، ط1 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 2017.

قائمة مصادر ومراجع

55. ليسترنج، ترفرنسيس بلدان الخلافة الشرقية، ط1، الرابطة ، بغداد ، 1373هـ - 1953م

56. محمد ضيف الله بطاينة: دراسات في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط1 ، دار الفرقان ، عمان، 1999

57. نادية محمود مصطفى ، الدولة الأموية دولة الفتوحات، ج8 ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، القاهرة ، 1996.

58. هدى درويش، دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2004م .

ثالثا: الرسائل المطروحة:

59. احمد جلايلي ، نبيلة عبد الشكور ، الاسلام مغول تركستان 624-808 هـ / 1227-1405 ، مذكرة الماجستير ، جامعة بوزريعة الجزائر ، 2011 .

60. ، بن سعيد جمال ، العصر الذهبي لمغول القبيلة الذهبية مغول القفجاق 654 ، 772هـ / 1256 ، 1341م .، 2012 / 1433

رابعا : المحلات ودوريات :

61. ضياء الدخيلي ، مرصد مراغة ومكتبتها، الرسالة ، العدد 799 والعدد 800 ، القاهرة ، 1948 .

62. هدى درويش ، المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية وتأثرها على السلطة ، مجلة الكلية الآدب ، جامعة الزقازيق ، العدد 39 ، 2001م.

خامسا المواقع:

<http://www.turKistnweb.com>



فہرس



فهرس المحتويات

❖ الاهداء

❖ الشكر والتقدير

❖ القائمة المختصرات

Erreur ! Signet non défini...... مقدمة:**Erreur ! Signet non défini.**..... الفصل الاول:**Erreur ! Signet non défini.**..... دخول الإسلام وانتشاره في بلاد ما وراء النهر**Erreur !** أولاً: بدايات الفتح الإسلامي للمنطقة والعوامل التي ساعدت في نشر الإسلام بها**Signet non défini.****Erreur ! Signet non défini.**..... جغرافيا بلاد ما وراء النهر:**Erreur ! Signet non défini.**..... أقسام بلاد ما وراء النهر:**Erreur ! Signet non défini.**..... قبائل الترك في بلاد ما وراء النهر:**Erreur ! Signet non défini.**..... الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر:**Erreur ! Signet non défini.**..... المهلب بن أبي صفرة

11..... مراحل فتوحات قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر:

Erreur ! Signet non défini...... وقفات حول فتوحات قتيبة بن مسلم:**Erreur ! Signet non défini.**..... بلاد ما وراء النهر بعد وفاة قتيبة بن مسلم:

14..... ثانياً: العقائد الدينية القديمة للمغول قبل دخولهم الإسلام.

14	المغول: Erreur ! Signet non défini.
15	الدين:
17	ثالثا: الصوفية وانتشارها في العالم الإسلامي.
22	الفصل الثاني التصوف والصوفية:
24	أولا: تعريف التصوف والصوفية ونشأتها وسبب التسمية ومصادر التلقي عندهم:
	تعريف التصوف والصوفية: Erreur ! Signet non défini.
	نشأة التصوف: Erreur ! Signet non défini.
	مصادر التلقي عند الصوفية: Erreur ! Signet non défini.
	المصدر الأول: الأفلاطونية الحديثة: Erreur ! Signet non défini.
32	المصدر الثاني: المذاهب الهندية والفارسية:
	المصدر الثالث: المسيحية المخرقة: Erreur ! Signet non défini.
	ثانيا: مدينة مراغة والطرق الصوفية: Erreur ! Signet non défini.
36	ثالثا: العناية الخاصة لسلطين وامراء المغول وخواتيمهم للتيار الصوفي:
	الفصل الثالث : الصوفية ودورها في انتشار الاسلام بين المغول: Erreur ! Signet non défini.
49	أولا: النظرة القدسية لشيوخ التصوف عند المغول.
	ثانيا: العلاقة بين الطرق الصوفية وانتشار الاسلام بين المغول: Erreur ! Signet non défini.
	ثالثا: ممارسة بعض سلطين المغول وامرائهم جوانب من الحياة الصوفية:
	Erreur ! Signet non défini.

الفصل الرابع: دور الطرق الصوفية في ترسيخ الثقافة الاسلامية داخل المجتمع المغولي. 61

اولا: الطريقة الكبروية : **Erreur ! Signet non défini.**

ثانيا: الطريقة النقشندية : 68

ثالثا: الطريقة القادرية : **Erreur ! Signet non défini.**

رابعا: الطريقة اليسوية : **Erreur ! Signet non défini.**

خاتمة.....

Erreur ! Signet non défini.

الملاحق..... **Erreur ! Signet non défini.**

قائمة مصادر ومراجع **Erreur ! Signet non défini.**

ملخص :

يعد التصوف تيار من التيارات التي بارزات في المجتمعات وخصوصا المجتمع المغولي في الفترة ممتدة 656 هـ / الى 738 هـ حيث احتلت مكانة عاليا عند مغول تلك مكانة يعكسها نفوذ واسع على جمع جوانب الحياة سواء سياسية ، اجتماعية ، فكرية ، وبهذا يكون التصوف حلقة من حلقات تاريخ الإسلام ودراسته تعد واحدة من المفاتيح المهمة لفهم حقيقة كثير من الحوادث الإسلامي وقد بالغ سلاطين المغول، الذين اعتنقوا الإسلام، مع احتفاظهم بكثير من طقوسهم الوثنية، في تشجيع التصوف، وكانوا يصدقون على الزوايا الصوفية، بالندور المالية، والأوقاف، ذات الدخل الكبير، وذلك لاعتقادهم أن شيوخ التصوف يمتلكون قدرات خارقة، وأيضاً لأسباب سياسية، ولهذا ظهر الصوفية بكل مكان، وأقاموا الزوايا بكل ناحية في عهدهم، وكان كل شيخ صوفي يمتلك ثروات هائلة، ويحظى بمكانة عظيمة، ويتبعه جيش جرار من المريدين. وكانت الزوايا الصوفية، بدورها، تؤيد سلطة المغول الظالمة، وتروج لضرورة الطاعة المطلقة لهم، وتسوق المجتمع الإسلامي إلى اللامبالاة تجاه مصيره.

Summary :

Sufism is one of the currents that are prominent in societies, especially the Mughal society in the period extending from 656 AH / to 738 AH, when it attained a high position among the Mongols , This is a position that is reflected in a wide influence on all aspects of life, whether political, social, intellectual, and thus Sufism is one of the episodes of Islamic history and its study is one of the important keys to understanding the truth of many incidents The Mughal sultans, who converted to Islam, while maintaining many of their pagan rituals, exaggeratedly encouraged mysticism, and they showered Sufi angles with financial vows and endowments, With large incomes, because they believed that

the sheikhs of Sufism possessed supernatural abilities, and also for political reasons, and for this reason Sufism appeared everywhere, and established zawiyas in every aspect during their reign. The Sufi zawiyas, in turn, supported the unjust authority of the Mongols, promoted the necessity of absolute obedience to them, and led the Islamic community to indifference towards its destiny.

.